

المجاز المرسل في لسان العرب

لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف

الدكتور / أحمد هند أويح عبد الغفار هلاله

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

المجاز المرسل فى لسان العرب لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف

الدكتور / أحمد هنداوي عبد الغفار هلاله

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(عبدالله ، ١١)

فقد تبوأ المجاز منزلة رفيعة في البيان العربي ، وأولاه
البلاغيون عناية فائقة ، فشغل حيزا رحبا في فكرهم ، وكتبهم ، وقد
جعلوه شطرين متقابلين ، شطرا في الإثبات ، وهو المجاز العقلي ،
وشطرا في المثبت ، وهو المجاز اللغوي ، وقسموا شطره اللغوي قسمين
استعارة ، ومجازا مرسلًا ، وكانت العلاقة بين المعنى الحقيقي ،
والمعنى المجازي هي مناط التمايز بينهما ؛ فإذا كانت هذه العلاقة هي
المشابهة ، كان استعارة ، وإذا كانت الملايسة والاتصال ، كان مجازا
مرسلًا ، ومما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد " أن
الاسم المستعار يتناول المستعار له ؛ ليدل على مشاركته المستعار منه
في صفة هي أخص الصفات التي من أجلها وضع الاسم الأول أعني
أن الشجاعة أقوى المعاني التي من أجلها سمي الأسد أسدا ، وأنت
تستعير الاسم للشيء على معنى إثباتها على حدها في الأسد ، فأما
اليد ونقلها إلى النعمة ، فليست من هذا في شيء ؛ لأنها لم تتناول
النعمة ؛ لتدل على صفة من أوصاف اليد بحال... " (١).

(١) أسرار البلاغة ، تعليق محمد رشيد رضا / ٣٢٤ مكتبة القاهرة

وسيتناول هذا العمل - إن شاء الله تعالى - المجاز المرسل، وعلاقاته من خلال الأمثلة، والشواهد التي تطرق إليها (ابن منظور) في (لسان العرب) ويحتكم فيما ذكره إلى ما استقر في عرف البيا .

وقد .انى الله سبحانه وتعالى إلى اختيار هذا الموضوع، وسر لى قراءة (لسان العرب) واستخراج المادة العلمية منه لهذا الموضوع، وغيره (١) .

وقد كان الهدف من الاتجاه صوب (لسان العرب) وارتداد آفاقه الفسيحة هو إثراء الدرس البلاغى بأنماط جديدة، وصور طريفة ليست متداولة فى كتب البلاغة المعهودة.

وقد جعلت هذا العمل فى تمهيد ، وخمسة فصول ، عرفت فى التمهيد على عجل (بابن منظور) ومعجمه الكبير (لسان العرب) . وتناولت فى الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل عند بعض كبار البيانين، بدءاً من أبى عبيدة معمر بن المثنى ، وانتهاء بالخطيب القزوينى . وتعرضت فى الفصل الثانى لعلاقات المجاز المرسل التى ظفرت بها فى (لسان العرب) من خلال الشواهد التى ساقها من آى القرآن المجيد، والحديث النبوى الشريف، وشعر العرب ونثرهم .

(١) سبق هذا العمل بمقال (رؤى جديدة فى الاستعارة غير المفيدة) الذى نشر فى حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية ، العدد الرابع عشر ١٩٩٤م وقد اعتمدت فيه أيضاً على المادة العلمية المستخرجة من (لسان العرب) .

وعرضت فى الفصل الثالث لما سعى بالمجاز عن المجاز، وذكرت أمثلة أوردها (ابن منظور) يمكن أن تعتبر من هذا النوع من المجاز ، وإن كانت قليلة.

وتناولت فى الفصل الرابع إمكانية إطلاق مصطلح الاستعارة ، والمجاز المرسل على لفظ واحد باعتبار العلاقة المقصودة فيهما . وفى الفصل الخامس والأخير بينت أن اللفظ الواحد يمكن أن يكون مجازا مرسلا، وكناية باعتبارين ، وذلك إذا اختلفت الحيشية المحببة فيهما.

والله نسال ان يمدنا بعونه ، وتوفيقه،،

﴿ وما توفيقه إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

دكتور

أحمد هندأوى عبد الغفار ملال

طنطا فى : ١٥ من جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٢٠ من أكتوبر ١٩٩٤م

تمهيد

أود أن ألقى في هذا التمهيد الضوء في عجالة على شخصية (ابن منظور) ومنزلة العلمية ، وعلى معجمه الكبير (لسان العرب) لأن اسم كل منهما يتصدر وجه هذا العمل ، ويمثل جانبا من عنوانه ، وأيضا فإن مادته العلمية قائمة ومبنية على ما ذكره في هذا المعجم المنقطع النظير.

اسمه ونسبه :

هو محمد بن مكرم بتشديد الراء ابن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور الأنصاري^(١)، وقد اشتهر باسم (منظور) أحد أجداده الأعلون.

وقد صرح بنسبه في بعض المواضع من (لسانه) فقال " ..فأما جربة بالهاء ، فقربة بالمغرب لها ذكر في حديث روفع بن ثابت - رضى الله عنه - قال عبد الله بن مكرم روفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار، كما رأيت به بخط جدى نجيب الدين والد المكرم، أبى الحسن على بن أحمد بن القاسم بن حبة بن محمد بن منظور بن معافى .." (٢).

(١) معجم المؤلفين ، تأليف عمر كحالة ١٢ / ٤٦ مكتبة المثنى - لبنان .

(٢) لسان العرب ١ / ٥٨٤ (جرب) ط دار المعارف - القاهرة .

مولده ووفاته :

ولد في شهر المحرم سنة ٦٣٠ هـ (١) بمصر وقيل في طرابلس الغرب (٢).

وقد خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وولى القضاء في طرابلس الغرب ، ثم عاد إلى مصر وتوفى بها في شعبان ٧١١ هـ (٣).

منزله العلمية :

يتسنى (ابن منظور) مكانة علمية سامية سامقة ، لا يصل إليها إلا الأفاضل القلائل الذين آتاهم الله بسطة في العلم ، وغزارة في الذكاء والفهم ، وقد وصفه أولو الفضل من العلماء بنبيل السجايا ، وعظيم الصفات ، فهو (الإمام الحجة اللثوي) (٤) الفاضل في الأدب ، المليح في الإنشاء ، المتفرد في العرالي ، العارف بالنحو ، واللغة ، والتاريخ ، والكتابة (٥).

(١) بغية الوعاة ، للسيوطي ٢٤٨/١ تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، لبنان .

(٢) الأعلام ، لخير الدين الزركلي ١٠٨/٧ دار العلم للملايين ، بيروت ط رابعة ١٩٧٩م .

(٣) ينتظر بغية الوعاة ، للسيوطي ٢٤٨/١ .

وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ٢٦/٦ دار إحياء التراث ، بيروت والأعلام ١٠٨/٧ .

(٤) الأعلام ٧ / ١٠٨ .

(٥) ينظر بغية الوعاة ، للسيوطي ٢٤٨/١ .

وهو " علم الهداية الباذخ، وطود الدراية الشامخ، الناضل الذى مارمى إلا أصاب فؤاد الغرض، والطبيب الذى أزال عن عيون المشكلات كل غشاوة، وعن قلوبها كل مرض، ذو التصانيف الفائقة العديدة، والتأليف الرائعة المفيدة، واللطائف الجمّة، والطرائف المهمة شيخ الشيوخ، راسخ القدم في كل فن أعظم رسوخ، الحافظ المتقن، المتفتن، المتحدث، المتفرد بالعوالى، المتمكن الإمام جمال الدين محمد بن الشيخ الإمام جلال الدين أبى العز مكرم .. الشهير بابن منظور.. " (١) ويكفيه فخرا ورفعة فى ساحة العلم أنه " ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد " (٢).

صكّانة (لسان العرب) :

أثنى كثير من العلماء على معجم (لسان العرب) وأنزلوه منزلته اللاتقة به، منهم أحمد فارس الشدياق الذى قال فى تقرّظ (اللسان) " .. أقرر أن أعظم كتاب ألف فى مفرداتها - أى مفردات اللغة العربية- كتاب (لسان العرب) للإمام المتقن جمال الدين محمد ابن جلال الدين الأنصارى... فهو يغنى عن سائر كتب اللغة، إذ هى بجمالها لم تبلغ منها ما بلغه .. " (٣).

-
- (١) من كلمة مصحح العلوم فى ختام لسان العرب محمد الحسينى ط بولاق ٢٠/٣٨٧.
- (٢) الأعلام ٧/١٠٨.
- (٣) مقدمة الطبعة الأولى من لسان العرب ط بولاق ١/٢-٣.

وهذه شهادة ممن قرأ (لسان العرب) وسبر غوره ، وعرف قدره فهو مشحون بعلوم اللغة العربية بحيث يمكن الاستغناء به عما عداه من كتبها المتنوعة؛ لأنه بلغ شأوا لم تبلغه هذه الكتب ، وماذاك إلا لأنه "... البحر المحيط باللغة العربية تستخرج من لجه اللآئى الأدبية، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يدع شاردة ولا واردة من غريب اللغة ، والحديث والآى إلا قيدها وأبداها..." (١).

وقد ذكر (ابن منظور) نفسه أنه جمع فى كتابه خمسة كتب هى الصحاح للجوهري ، وحاشية ابن برى عليه، والتهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير (٢).

ثم قال "وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أنى جمعت فيه ماتفرق فى تلك الكتب من العلوم ... فليعتد من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .." (٣).

ويبدو أن هذا الذى قاله هو من قبيل تواضع العلماء الجيم، وعدم مباهاتهم بأعمالهم الجليلة، وهضمهم أنفسهم ، فقد أثبتت الدراسة المتأنية أن معجمه كان عملا جديدا ، وليس مجرد جمع لمجموعة كتب فى كتاب واحد ، وكانت له شخصيته البارزة فى طول هذا المعجم ، وعرضه، ولا أدل على ذلك من أنه كان ينقل من يأخذ عنهم فى منهجهم ، وفى مادتهم اللغوية (٤).

(١) من كلمة مصحح العلوم محمد الحسينى فى ختام ط بولاق ٣٨٧/٢.

(٢) ينظر مقدمة لسان العرب / ١١-١٢ ط دار المعارف .

(٣) نفسه / ١٢.

(٤) ينظر ابن منظور اللغوى منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية ، للدكتور محمد متولى منصور / ٣٥٣-٤٣٦ رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

الفصل الأول

تطور حقيقة المجاز المرسل

- ١- المجاز المرسل عند أبي عبيدة.
- ٢- المجاز المرسل عند ابن قتيبة.
- ٣- المجاز المرسل عند أبي هلال العسكري.
- ٤- المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار .
- ٥- المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني .
- ٦- المجاز المرسل عند الزمخشري .
- ٧- المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازي .
- ٨- المجاز المرسل عند أبي يعقوب السكاكي.
- ٩- المجاز المرسل عند الخطيب القزويني .

الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل

حاولت فى هذا الفصل أن ألقى بعض الضوء على ما عرف - بعد - بالمجاز المرسل من خلال كلام بعض كبار البيانين - على قدر جهدى - ولم يكن الهدف هو الاستقصاء ، وحصر الكلام فيه على هؤلاء الأعلام دون سواهم ، ولكنها نظرات تبدت أمامى ، أو أفدتها من كتابات بعض الباحثين حول هذا المجاز ، فأردت أن أسجلها لعلها تكون مفيدة نافعة.

المجاز المرسل عند أبى عبيدة ت ٢٠٩ هـ :

يعتبر أبو عبيدة معمر بن المثنى أقدم من عثرت عنده من البلاغيين على لمحات دالة، وإشارات عابرة إلى حقيقة المجاز المرسل، فقد أوما فى كتابه (مجاز القرآن) إلى حقيقة هذا المجاز، فذكر عند قوله تعالى حكاية عن الملائكة " ... ونحن نسبح بحمدك .. " (١) أن معنى (نسبح) " نصلي تقول قد فرغت من سبحتى أى صلاتى " (٢) . وهذه إشارة إلى علاقة الجزئية حيث أطلق التسبيح وهو جزء من

(١) البقرة / ٣٠ .

(٢) مجاز القرآن ٣٦/١ تعليق دكتور محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي - القاهرة .

الصلاة على الصلاة بجميع أجزائها ، ومنه قوله تعالى " فلولا أنه كان من السبحين " (١) أى المصلين (٢).

ومن المواضع التى لوح فيها أبو عبيدة إلى حقيقة هذا المجاز ما ذكره عند قوله تعالى " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا " (٣).

فقد قال " مجاز السماء ههنا مجاز المطر يقال مازلنا فى سماء أى مطر ، ومازلنا نطأ السماء أى أثر المطر، وأنى أخذتكم هذه السماء؟ " (٤) فإطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة (٥).

والمعول عليه فى كلامه المذكور أنه فسر السماء بالمطر، أما اعتباره ذلك مجازا ، فليس قطعى الدلالة؛ لأنه لم يقصد من كلمة المجاز ما يقابل الحقيقة، وإنما كان يريد بها تفسير الكلمة، وتوضيح معناها، سواء كانت هذه الكلمة مستعملة فى معناها المجازى، أو الحقيقى ، وقد صرح بذلك محقق كتابه (مجاز القرآن) (٦)

(١) الصافات / ١٤٣.

(٢) ينظر تفسير القرطبي / ٢٣٦ ط الشعب .

(٣) الأنعام / ٦.

(٤) مجاز القرآن / ١٨٦/١.

(٥) ينظر بغية الإيضاح / ٩٤/٣.

(٦) مجاز القرآن / ١٩/١.

وقد ألمع إلى هذا المجاز أيضا عند قوله تعالى " .. فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم... " (١) فقال : " مجازه إنا تركناكم ولم ننظر إليكم، والله عز وجل لا ينسى فيذهب الشيء من ذكره " (٢).

فالنسيان في الآية ليس مستعملا في حقيقته ؛ لأن الأشياء لا تذهب من ذكره، ولا تتملص من علمه، وعلى ذلك يكون إطلاق النسيان على الترك مجازا مرسلا، علاقته الملزومية " لأن المنسى يكون متروكا، فلما كان الترك من لوازم النسيان، أطلقوا اسم الملزوم على اللازم " (٣).

وأشار كذلك إلى علاقة (الآلية) عند قوله تعالى " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين " (٤) فقال فى معنى (لسان صدق) " أى ثناء حسنا فى الآخرين " (٥) فصرف كلمة (لسان..) عن معناها الحقيقى إلى الثناء الحسن، ومعلوم أن اللسان آلة الكلام، والثناء، فىكون مجازا مرسلا علاقته الآلية.

(١) السجدة / ١٤.

(٢) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

(٣) التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازى ٢٤٥/١/٢ -

دار الفكر - بيروت ط الثالثة ١٤٠٥ هـ .

(٤) الشعراء / ٨٤ .

(٥) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

وألمع أبو عبيدة إلى المجاز المرسل أيضا عند قوله تعالى "فليدع ناديه" (١) فقد فسر (ناديه) بأهل مجلسه (٢).
فأطلق المحل على الحال فيه، وتلك علاقة المحلية . وهكذا نجد
أبا عبيدة - رحمه الله- قد أشار إلى علاقات خمس من علاقات
ما عرف بعد باسم المجاز المرسل ، وهى الجزئية، والمجاورة، والملزومية ،
والآلية ، والمحلية.
وربما يكون قد أوما إلى علاقات غيرها لم أهتمد إليها ، أو
أوفق فى العثور عليها.

المجاز المرسل عند ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ :

كان عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى إماما من أئمة اللغة
والأدب ، وقد بسط القول فى المجاز ، وشعب القول فيه، وأكد على
وجود المجاز فى اللغة العربية ، وفى النظم القرآنى الجليل ، وببدو
مما كتبه حول المجاز أنه توسع فى استعمال كلمة المجاز كما توسع فيها
أبو عبيدة من قبله، فكان يطلق مصطلح الاستعارة على ما عرف
بالمجاز المرسل، وقد بدت من خلال بيانه ، وشرحه لحقيقة هذا المجاز
عدة علاقات، فقد جاء فى بعض المواضع من كتابه (تأويل مشكل
القرآن) أنهم - أى العرب - " يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان
الكلمة لتقارب ما بينهما ، أو أن إحداها سبب للأخرى، فيقولون

(١) العلق / ١٧ .

(٢) مجاز القرآن ٣٠٤/٢ .

للمطر سماء ؛ لأنه من السماء ينزل ، ويقولون للبنات ندى ؛ لأنه بالندى ينبت، ويقولون مابه طرق أى مابه قوة، وأصل الطرق الشحم، فيستعيرونه مكان القوة ؛ لأن القوة تكون عنه" (١).

فكلامه المذكور آنفا يومئ إلى علاقيتين : أولاهما؛ المجاورة ، وذلك ظاهر من قوله (فيقولون للمطر سماء ؛ لأنه من السماء ينزل). وقد عرض لحقيقة هذه العلاقة فى موضع آخر من كتابه عندما تناول قوله تعالى " وثيابك فطهر" (٢) وجعل (ثيابك) استعارة عن النفس، لأن الثياب تجاور جسم الإنسان ، وجعلها مناظرة (لأثواب) فى قول ليلى الأخيلىة وقد ذكرت إبلا:

رموها بأثواب خفاف فلا ترى - لها شبها إلا النعام المنقرا

" أى ركبوها فرموها بأنفسهم" (٣).

وكون الثياب مجاورة للأبدان ، أو مشتملة عليها ينبئ أن هذا مجاز مرسل علاقته المجاورة ، أو المحلية.

ثانيتها : السببية وذلك واضح من قوله (ويقولون للبنات ندى ، لأنه بالندى ينبت) فإطلاق الندى وهو الغيث والمطر (٤).

(١) تأويل مشكل القرآن / ٣٠٢ نشره وشرحه السيد أحمد صقر ط ثانية ١٩٧٣م ، دار التراث القاهرة.

(٢) المدثر / ٤.

(٣) تأويل مشكل القرآن / ١٤٢.

(٤) ينظر لسان العرب ٦ / ٤٣٨٧ (ندى).

مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المطر سبب فى النبات، وغنى عن البيان أن دخول باء السببية على (الندى) يعتبر شاهد صدق على أن إطلاقه على النبات مجاز مرسل علاقته السببية.

ومن قبيل هذه العلاقة أيضا ما ذكره من إطلاق الطرق، وهو الشحم على القوة فى قولهم ما به طرق أى قوة حيث أطلق السبب على المسبب .

وقد ألمح فى ثنايا أمثلته التى ساقها إلى علاقة المسببية، فقال " .. ومنه الذكر بوضع موضع الشرف؛ لأن الشريف يذكر قال الله تعالى " وإنه لذكر لك ولقومك " (١) يريد أن القرآن شرف لكم ، وقال تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) (٢) ، أى شرفكم ، وقال (بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) (٣) أى أتيناهم بشرفهم " (٤).

فقوله فى صدر كلامه المتقدم (.. لأن الشريف يذكر) يشير إشارة واضحة إلى أن الذكر مسبب عن الشرف، فىكون إطلاق الذكر عليه مجازا مرسلا علاقته السببية.

وأشار ضمن أمثلته التى ذكر أنها استعارة إلى علاقة الآلية فقال: " ومن الاستعارة اللسان بوضع موضع القول ؛ لأن القول يكون

(١) الزخرف / ٤٤.

(٢) الأنبياء / ١٠.

(٣) المؤمنون / ٧١.

(٤) تأويل مشكل القرآن / ١٤٧.

بها، قال الله عز وجل (واجعل لى لسان صدق فى الآخرىن) (١) أى ذكر احسنا.. " (٢) وقد أصبح واضحا من تتبع كلامه الذى يلوح إلى المسببية، والآلية أن إطلاق اللسان على القول يباين إطلاق الذكر على الشرف، فهذا من المسببية، وذاك من الآلية، وشتان ما بينهما، ولذلك فإننى لا أتفق مع الدكتور كامل الخولى - رحمه الله - فى اعتباره الصلاقة فى الموضوعين هى الآلية، فقد قال بعد أن أورد بعض كلامه حول العلاقتين كليهما: " وتتضح علاقة الآلية فيما ذكر " (٣).

ولعل ابن قتيبة كان يعتبر حقيقة ما عرف بعد بالمجاز المرسل من الاستعارة؛ لأن المصطلحات البلاغية فى عصره لم تكن قد تحددت مدلولاتها تحديدا دقيقا، أو يكون قد حذا حدو بعض العلماء الذين يجعلون المجاز كله استعارة، لأن اللفظ استعير من مستحقه الذى وضع له أولا، ونقل إلى ما تجوز به عنه؛ ولهذا سموه مجازا (٤).

المجاز المرسل عند أبى هلال العسكري ت ٣٩٥هـ :
بقيت صورة المجاز المرسل عند (أبى هلال) غير محددة
المعالم، ولا واضحة الملامح ، والقسمات ، فقد جعله داخلا فى

(١) الشعراء / ٨٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن / ١٤٦.

(٣) صور من تطوير البيان العربى ، للدكتور كامل الخولى / ١٤١.

ط أولى ١٩٦٢م دار الأنوار للطباعة والنشر .

(٤) ينظر الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد

السلام / ٢٩-٣٠.

الاستعارة، ومشتعلا بردائها الفضفاض ، وهو بذلك لم يضيف جديدا إلى تحديد هذا المجاز، والكشف عن ماهيته، وحقيقته وقد ظهر ذلك جليا عندما عقد فصلا في (الاستعارة والمجاز) اعتبر فيه بعض أمثلة المجاز المرسل من قبيل الاستعارة (١) فقال:

" ويقولون - أي العرب - للمطر سماء قال الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضايا

ويقولون ضحكت الأرض إذا أنبتت .." (٢)

وإطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة - وقد

سبقنا الإشارة إلى ذلك.

وقد ذكر بيت امرئ القيس :

فبات عليه سرجه ولبامه ويات بعيني قائما غير مرسل

ثم قال بعقبه " أي كنت أراه وأحفظه، وعلى هذا مجاز قوله عز

وجل (تجربى بأعيننا) (٣).

واضح أن إطلاق العين على الحفظ مجاز مرسل علاقته

السببية؛ لأن العين من أسباب الحفظ (٤).

(١) ينظر الصناعتين من ٢٩٥ - ٣٣٨ .

دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٩٨١م.

(٢) نفسه / ٣٠٤ .

(٣) القمر / ١٤ وينظر الصناعتين / ٣١١ .

(٤) ينظر صور من تطور البيان العربي ، للدكتور كامل الخولي / ١٦١ .

ويبدو أنه ناقل عن سالفه (ابن قتيبة) ومتأثر به ، يدل على ذلك " اتفاق كثير من الأمثلة عندهما" (١).

المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ :

أشار القاضي عبد الجبار إلى طائفة من علاقات المجاز المرسل (٢) مثل ١- السببية ٢- المسببة ٣- الجزئية ٤- اعتبار ماكان ٥- اعتبار مايتول إليه ٦- الحالية ٧- الآلية .

ولم يصرح باسم هذا المجاز أسوة بمن سبقوه ، ولكن شرحه لتلك العلاقات ، وإلقاء الضوء عليها يحدد مدلول ذلك المجاز ، ويبين حقيقته وقد يكون من المفيد أن أذكر بعض أمثلة لم تذكر من قبل في هذا العمل تمثل موقفه من حقيقة ذلك المجاز ، دون بسط أو تطويل .

١- المسببية : تناول القاضي هذه العلاقة في عدة مواضع منها ما ذكره عند قوله تعالى " ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون" (٣) فقد قال " وربما قيل في قوله تعالى (ولقد كنتم..) كيف يصح أن يلتقى الموت وهو ينظر؟ وجوابنا

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن / ١٣٥ - ١٣٦ .

والصناعتين ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) ينظر بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ، للدكتور عبد الفتاح

لاشين من ٣١٥ إلى ٣٣٢ .

(٣) آل عمران / ١٤٣ .

أن المراد رؤية أسباب الموت ومقدماته، دون نفس الموت؛ لأن الميت لا يتمكن من أن يكيف الموت ويراه، وهو كقوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ^(١)) والمراد به المرض الذي يخاف منه الموت ^(٢).

واضح من بيانه، وإيضاحه أن الموت استعمل في غير حقيقته، وأطلق مجازاً على مقدماته وأسبابه، لأن الذي تفيض روحه لا يتأتى منه وصية ^(٣) أو أى عمل آخر.

وقد تناول هذه العلاقة أيضاً عند قوله تعالى " واتقوا النار التى أعدت للكافرين " ^(٤) فقال بعد أن ذكر الآية " كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين؟ ... وجوابنا أن المراد بقوله (واتقوا النار) اتقاء المعاصى التى توجب استحقاق عذاب النار، وذلك ظاهر إذا قيل للمرء اتق ريك، واتق السلطان أن المراد اتقاء ما يؤدى إلى تأديبهم ^(٥). فجعل (النار) فى الآية مجازاً عن المعاصى، والآثام التى توجب عذاب النار وعلى ذلك تكون مجازاً مرسلًا علاقته السببية حيث ذكر المسبب، وأريد به السبب.

(١) البقرة / ١٨٠.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عبدالجبار / ٨٠ دار النهضة الحديثة . بيروت - لبنان .

(٣) لأن بقية الآية السابقة (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين).

(٤) آل عمران / ١٣١.

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٧٨.

٢- الجزئية : ألمح القاضى عبد الجبار إلى هذه العلاقة فى مواطن كثيرة منها ما ذكره عند قوله تعالى " فأقم وجهك للدين القيم" (١).

فقد بين أن المقصود من (وجهك) ذاتك كلها فقال (٢) والمراد بالوجه نفس الإنسان، فكأنه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه ، ولا تزول، فلا تأمن فى كل وقت من الاخترام، فإذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين" (٢) فاعتبر الوجه ، وهو جزء من الانسان مجازا عن ذات الإنسان كلها ، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية.

٣- اعتبار ما يتول إليه:

ألمح القاضى إلى هذه العلاقة فى عدة أماكن منها ما ذكره عند قوله تعالى " إني سقيم" (٣) فقد قال " وربما قيل فى قوله تعالى (إني سقيم) كيف يصح على الأنبياء الكذب؟ وجوابنا أنه يريد سأسقم كقوله تعالى (إنك ميت) (٤) أى ستموت ، وكقوله (إني أرانى أعصر خمرا) (٥) فإطلاق السقيم على السليم ، والميت على

(١) الروم / ٤٣.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٣٢١.

(٣) الصافات / ٨٩.

(٤) الزمر / ٣١.

(٥) يوسف / ٣٦.

الحى ، والخمر على العنب يعتبر مجازا لأنه استعمال لهذه الألفاظ فى غير ما وضعت له؛ لأن الصحيح سيئول أمره فى المستقبل إلى السقم، والحى سوف يموت لا محالة ، والعنب سيتحول إلى خمر بعد عصره .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الدكتور عبد الفتاح لاشين ذكر فى خاتمة مبحث المجاز المرسل عند القاضى عبد الجبار^(١) أن أحد كبار الباحثين قال إن الزمخشري أضاف إلى المجاز المرسل علاقات : تسمية الشئ باسم جزئه، واعتبار ما يثول إليه ، والمسببية^(٢) . وقد عقب الدكتور لاشين على هذا القول بأنه غير دقيق؛ لأنه ألقى هذه العلاقات عند القاضى عبد الجبار، وهو أسبق زمنا من الزمخشري بقرن ونصف تقريبا^(٣) .

ويبدو لى أن القطع فى مثل هذه المسائل التاريخية، دون أدلة حاسمة يعتبر ضربا من الحدس يأباه التحقيق العلمى السليم، وليس أدل على ذلك من أننى وجدت إشارة إلى علاقة الجزئية عند أبى عبيدة معمر بن المثنى عندما فسر التسبيح بالصلاة فى قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك)^(٤) وقد ذكرت ذلك فى مطلع الحديث عن

(١) . بلاغه القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار / ٣٣٢ .

(٢) نفسه / ٣٣٢ ونظر البلاغة تطور وتاريخ ، للدكتور شوقى ضيف / ٢٦٣ .

(٣) ينظر بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار / ٣٣٢ .

(٤) البقرة / ٣٠ .

المجاز المرسل عنده، ومعلوم أنه أسبق من القاضى ، والزمخشرى
بزمان سحيق.

المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١هـ :
لم يعقد الشيخ عبد القاهر فصلا معيناً ييسط فيه القول فى
المجاز المرسل، وإنما لمس بعض الأمور التى تتعلق به عرضاً ، وهو
يفرق بين حقيقته، وحقيقة الاستعارة، وقد ذكر أن غرضه فى هذا
الفصل الذى تطرق فيه إلى نبذ يسير من قضايا المجاز المرسل أن يبين
" أن المجاز أعم من الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية فى ذلك أن
كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة" (١).

ولو أنه أفرد هذا المجاز ببحث مستقل ، أو أولاه مزيداً من
بيانه، واهتمامه، لظفر الدرس البلاغى منه بخير كثير، وعلم غزير .

وقد وجد الشيخ عبد القاهر بعض من سبقوه يتوسعون فى
إطلاق الاستعارة على ما يعتبر مجازاً مرسلًا ، فاعتبر ذلك منهم
تساهلاً فى تحرير المسائل، وتقصيراً فى النظر، وضعفاً فى الرأى (٢).
فقد صرح بأن أبا بكر بن دريد ابتداءً فى كتاب الجمهرة باباً
فقال (باب الاستعارات) ثم ذكر فيه ألفاظاً تعتبر من قبيل المجاز
المرسل مثل إطلاق الظعينة، وأصلها المرأة فى اليهودج على البعير،
والهودج، وإطلاق الراوية وهى اسم للبعير على المزادة، وغير ذلك (٣).

(١) أسرار البلاغة / ٣١٩ .

(٢) ينظر المرجع نفسه / ٣٢٢ .

(٣) نفسه / ٣٢٠ - ٣٢١ .

وأن الأمدى عد كلمة (المجلس) فى قول المهلهل :

... واستب بعدك يا كليب المجلس

استعارة (١) " .. فأطلق لفظ الاستعارة على وقوع المجلس هنا بمعنى القوم الذين يجتمعون فى الأمور ، وليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه، بل على وجه وقوع الشئ على ما يتصل به، وتكثر ملابسته إياه، وأى شئ يكون بين القوم ومكانهم الذى يجتمعون فيه؟ إلا أنه لا يعتد بمثل هذا ، فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة (٢) ولا يخفى أن الملابسة بين المجلس ، والقوم الذين يجلسون فيه هى المحلية.

وقد أوضح أن إطلاق لفظ الاستعارة عليهما معا منظور فيه إلى جانب النقل وحده، دون اكتراث بنوع العلاقة بين المنقول منه ، والمنقول إليه ، وفى هذا مجافاة لعرف البيانين فى تمييزهم بين حقيقة المجاز المرسل، وحقيقة الاستعارة ، وذلك شبيهه بمن يترك عرف النحويين فى تفريقهم بين الحال، والتمييز ، فيسمى الحال تمييزا على اعتبار أنها تميز المقصود من الكلام ، وتبينه (٣) .

(١) ينظر الموازنة ، للأمدى ٣٩٣/١ تحقيق السيد أحمد صقر دار

المعارف ، ط رابعة .

(٢) أسرار البلاغة ٣٢٣.

(٣) ينظر أسرار البلاغة / ٣٢١.

ولذلك نبذ الشيخ عبد القاهر هذه النظرة، ولم يرضها ، وضرب بها عرض الحائط فقال : " .. وليس هذا بالمذهب المرضي، بل الصواب أن تقصر الاستعارة على ما نقله نقل التشبيه للمبالغة؛ لأن هذا يطرد على حد واحد ، وله فوائد عظيمة، ونتائج شريفة.." (١)

وفى هذا دلالة واضحة على أن إطلاق لفظ الاستعارة على ما يعد مجازاً مرسلًا خطأ بحت، وخطأ صراح ، وإن لحظت أنه خفف هذا الحكم بعد ذلك بقليل عندما ذكر أن إطلاق الاستعارة على ما يعد مجازاً مرسلًا بعيد (٢) ولعله يقصد أنه بعيد من الصواب حتى يتساوق كلامه، وتأتلف عباراته. فالاستعارة قائمة على أساس الشبه بين المستعار له، والمستعار منه ، فهي تعتمد التشبيه أبداً (٣) والنقل فيها يطرد على حد واحد، وعلاقة واحدة ، أساسها التشبيه ، وقوامها الصفة المشتركة بين طرفيها ، والمجاز المرسل مبنى على الملازمة والارتباط بين المنقول منه ، والمنقول إليه، فليس مطرداً على وتيرة واحدة، ونمط معين ، ونظام واحد ، بل تتعدد علاقاته، وتنوع صنوفها، وأشكالها على حسب الاتصال ، والملازمة بين المعنى المنقول منه، والمنقول إليه.

وقد أنبأت الأمثلة التي ساقها في بعض المواضع عن طائفة من علاقات المجاز المرسل، وأظهرت اختلافها، وتنوعها " .. نحو

(١) نفسه / ٣٢٢ .

(٢) نفسه / ٣٢٥ .

(٣) نفسه / ٣٧ .

تسميتهم المزايدة راوية ، وهى اسم للبعير الذى يحملها فى الأصل ،
وكتسميتهم الجذر حفصا ، وهو اسم لمتاع البيت الذى يحمل عليه ،
ولا كنعو ما بين الجزء من الشخص ، وبين جملة الشخص ،
كتسميتهم الرجل عينا إذا كان ربيثة ، والناقعة نابا ، ولا كما بين
النبت ، والغيث ، وبين السماء والمطر حيث قالوا رعيننا الغيث يريدون
النبت الذى الغيث سبب فى كونه ، وقالوا أصابنا السماء يريدون
المطر.. (١) واضح من خلال الأمثلة التى تقدمت أن علاقات المجاز
المرسل فيها ليست واحدة ، فإطلاق الراوية على المزايدة ، وإطلاق
اسم الحفص على البعير الذى يحمله من قبيل المجاورة ، وإطلاق العين
على الربيثة الذى ينظر للقوم ، ويرعى أمورهم ، ويحرسهم (٢) من
علاقة الجزئية ، وإطلاق الغيث على النبات يعتبر من علاقة السببية ،
كما يتبىء كلام الشيخ نفسه ، لأن الغيث سبب فى النبات .

وسأطرق - إن شاء الله - إلى كثير من هذه الأمثلة عند
الحديث عن علاقات المجاز المرسل فى لسان العرب .

وقد نبه إلى أن علاقات المجاز المرسل ليست على شاكلة واحدة ،
فى قوة ترابطها ومتانة الأواصر بينها ؛ لأن الأسباب التى تصل
بين المعنى الأصلى ، والمعنى المجازى قد تكون قوية أو ضعيفة ، وقد
تكون شديدة الظهور ، أو بينة الخفاء .

(١) نفسه / ٣١٨ .

(٢) ينظر لسان العرب ١٥٤٥/٢ .

فقد قال عقب كلامه حول بعض هذه العلاقات، وقد نقلته منذ قليل: " .. واعلم أن هذه الأسباب الكائنة بين المنقول، والمنقول عنه تختلف في القوة، والضعف، والظهور، وخلافه، فهذه الأسماء التي ذكرتها إذا نظرت إلى المعانى التي وصلت بين ماهى له، وبين ماوردت إليه، وجدتهما أقوى من نحو ماتراه فى تسميتهم الشاة التي تذبح عن الصبى إذا حلقت عقيقتة عقيقة، وتجد حالها بعد أقوى من حال العقيرة فى وقوعها للصوت فى قولهم رفع عقيرته، وذلك أنه شئ جرى اتفاقا، ولا معنى يصل بين الصوت، وبين الرجل المعقورة.."^(١) واضح من كلامه أنه يريد أن يقرر أن العلاقة بين الغيث والنبات، وهى علاقة السببية أقوى من العلاقة بين العقيقة التي هى شعر المولود، وبين الشاة التي تذبح عند حلق هذا الشعر، وهى فيما يتراءى لى السببية أيضا إلا أن الارتباط بينهما أوهن من الارتباط بين الغيث والنبات، وكذلك العلاقة بين المزايدة، والراوية، والبعير، والحفص، وهى علاقة المجاورة أقوى من العلاقة بين الرجل المعقورة، والصوت، ويبدو أنها المجاورة إلا أن هذه العلاقة فى غاية الضعف والوهى، لأنه لاصلة بين الرجل المعقورة، ورفع الصوت، ولذلك عقب الشيخ علي هذا المجاز بقوله " إنه شئ جرى اتفاقا، ولا معنى يصل بين الصوت، وبين الرجل المعقورة"^(٢).

(١) أسرار البلاغة / ٣١٨.

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٨.

وقد يحسن هنا أن ألقى مزيدا من الضوء على المناسبة التي كانت سببا في إطلاق العقيرة على الصوت خصوصا أن الشيخ عبد القاهر لم يعرج على هذا السبب ، فقد ذكر صاحب لسان العرب في سبب هذا الإطلاق " أن رجلا عقرت رجله - أي قطعت- (١) فوضع العقيرة على الصحيحة، ويكى عليها بأعلى صوته، فقبل رفع عقيرته... " (٢) ومادام العرب قد نطقت بهذا المجاز ، فلا بأس أن يتلمس المرء له علاقة مقبولة لعلها المجاورة ، والمصاحبة الزمنية بين رفع الرجل المعقورة ، ورفع الصوت بالتوجع، والأنين، وكلام الشيخ ينبئ أن لهذا المجاز علاقة لكنها واهية واهنة.

المجاز المرسل عند الزمخشري ت ٥٣٨ هـ :

تناول جار الله الزمخشري - رحمه الله - طرفا من علاقات المجاز المرسل مثل السببية ، والمسببية ، والكلية ، والجزئية ، واعتبار ماكان واعتبار ما يكون ، والمجاورة ، والآلية ، والمحلية (٣). ولا بأس أن أشير إلى طائفة قليلة من هذه العلاقات من خلال أمثلة لم يسبق ذكرها في هذا العمل رغبة في تكثير الفائدة.

(١) لسان العرب ٤/٣٠٣٥ (عقر) .

(٢) نفس المصدر والموضع.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، للدكتور محمد أبو

موسى من ٤٤١ إلى ٤٤٦.

السببية: من المواضع التي أشار فيها صاحب الكشاف إلى علاقة السببية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى " ذلك عيسى بن مريم قول الحق.." (١) فقد قال: " وإنما قيل لعيسى كلمة الله ، وقول الحق؛ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهى قوله (كن) من غير واسطة أب ، تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي العشب بالسما ، والشحم بالندى..." (٢) فكلمة الله ، أو قول الله سبب فى وجود نبي الله عيسى - عليه السلام- فأطلق السبب على المسبب.

الكلية : ألمح إلى هذه العلاقة فى بعض المواضع، منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" (٣) وقوله " فاقطعوا أيديهما" (٤) فقد بين أن المراد بالأيدى بعضها " الذى هو إلى المرفق ، والذى إلى الرسغ " (٥).

فقوله (الذى هو إلى المرفق) عائد إلى قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) لأن من المعلوم أن غسل الأيدى فى الرضوء يكون إلى المرافق، وقوله (والذى إلى الرسغ عائد إلى قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) لأن قطع يد السارق يكون إلى الرسغ) (٦).

(١) مريم / ٣٤ .

(٢) الكشاف ٤١٠/٢ .

(٣) المائدة / ٦ .

(٤) المائدة / ٣٨ .

(٥) الكشاف ٤٢/١ .

(٦) ينظر تفسير القرطبي / ٢١٦٨ ط الشعب .

وبناء على ما ذكره يكون إطلاق الأيدي على بعضها مجازاً
مرسلاً علاقته الكلية، لأن " اليد اسم لهذا العضو إلى المنكب" (١).

المجاورة : أوماً إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى " قد
خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة " (٢).
فقد قال : "حتى غاية لكذبوا، لا لخسروا ؛ لأن خسرانهم لا
غاية له أى مازال بهم التكذيب إلى حسرتهم، وقت مجيء الساعة ،
فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم؟ قلت لما كان الموت وقوعاً فى
أحوال الآخرة، ومقدماتها ، جعل من جنس الساعة ، وسمى باسمها،
ولذلك قال صلى الله عليه سلم من مات فقد قامت قيامته" (٣).

فكلامه واضح فى أن المراد بالساعة فى الآية الموت ، وعلى
ذلك يستقيم اعتبار (الساعة) فى الآية شاهداً على علاقة
المجاورة (٤) وإن كان فى النفس مما قاله شئ؛ لأن الظاهر - والله
أعلم - أن الساعة فى الآية هى القيامة، وسميت القيامة ساعة؛
لسرعة الحساب فيها (٥).

(١) ينظر التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازى ٦ / ٢٣١ / ١.

(٢) الأنعام / ٣١.

(٣) الكشاف ١٠ / ٢.

(٤) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري / ٤٤٤.

(٥) ينظر تفسير القرطبي / ٢٤٠٨ ط الشعب .

الآلية : أشار إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى "وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم" (١).
فقد قال : " .. (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة، فإن قلت لم سميت السابقة قدما؟ قلت لما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما ، كما سميت النعمة يدا، لأنها تعطى باليد ، وباعا لأن صاحبها يبيع بها فتقبل لفلان قدم فى الخير..." (٢) فقد جعل إطلاق القدم على السعى، والسبق فى ضروب الخير من إطلاق الآلة على أثرها (٣).

المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦هـ :

استخرجت من كلام الإمام الرازى فى تفسيره ثمانى عشرة علاقة من علاقات المجاز المرسل وهى ١- السببية ٢- المسببية ٣- الآلية ٤- إطلاق المعلول على العلة ٥- المجاورة ٦- إطلاق الدليل على المدلول ٧- اللزومية ٨- اللزومية ٩- اعتبار ماكان ١٠- اعتبار ما يكون ١١- الجزئية ١٢- الكلية ١٣- العموم ١٤- المحلية ١٥- الحالية ١٦- التعلق ١٧- الضدية ١٨- إطلاق الأثر على المؤثر.

(١) يونس / ٢.

(٢) الكشاف / ٢ / ١٨٠.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري / ٤٤٤ - ٤٤٥.

وقد بسطت القول فى هذه العلاقات فى رسالتى التى تقدمت
بها لتبيل درجة الدكتوراه^(١).

وبينت أنه يمكن رد بعضها إلى بعض ، فىمكن رد إطلاق
المعلول على العلة، وإطلاق الأثر على المؤثر - إلى علاقة المسببية^(٢)
ورد إطلاق الدليل على المدلول إلى المجاورة، لأنه يتخيل مجاورة كل
منهما للآخر، كما فى قولهم فهمت الألفاظ، والمقصود المعانى، أو
المحلية ؛ لأنه يتخيل أن الدال محل للمدلول أو السببية، لأن الدال
سبب فى فهم المدلول^(٣).

ونوهت بأفضليته وسبقه إلى ذكر هذه العلاقات الكثيرة التى
أريت على ما ذكره بعض البلاغيين الذين جاؤا من قبله مثل الشيخ
عبد القاهر الجرجانى ، وبعض الذين جاؤا من بعده مثل الخطيب
القزوينى ، وقلت لعله أفاد تلك العلاقات الكثيرة من علماء الأصول
وهو علم من أعلامهم^(٤).

المجاز المرسل عند السكاكى ت ٦٢٦ هـ :

بعد هذه الرحلة مع المجاز المرسل ، أو إن شئنا الدقة مع ماهية
ذلك المجاز وحقيقته - وجدنا (أبا يعقوب السكاكى) يطلق عليه

(١) المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى من ١٦٦ إلى ٢٠٨ رسالة

دكتوراه مخطوطه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) نفسه / ١٧٣ ، ٢٠٨ .

(٣) نفسه / ١٧٥ وحاشية الإنابى على الرسالة البيانية / ٢٤١ .

(٤) المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى / ٢١٦ .

مصطلح المجاز المرسل، وقد جاءت هذه التسمية فى كلامه صريحة وهو يتحدث عن الحقيقة، والمجاز، والكناية، فقد قال "... والأول هو الاستعارة، والثانى هو المجاز المرسل.."^(١) وقال بعد ذلك بقليل "... وعرفنا تنوع المجاز إلى مرسل مفيد، وغير مفيد، وإلى استعارة مصرح بها، ومكنى عنها"^(٢).

ويبدو أنه استلهم هذه التسمية من بيان الشيخ عبد القاهر، وأفادها من كلماته الموحية التى سطرها يراعه فى كتابه (أسرار البلاغة) فقد جاءت كلمة (مرسل) فى كلامه بمعنيين لهما اتصال وثيق بالمجاز المرسل أحدهما: التشبيه الخالى عن دعوى الاتحاد الموجودة فى الاستعارة، ومما قاله فى ذلك " إنك لا تجرى اسم المشبه به على المشبه حتى تدعى أنه قد سار من ذلك الجنس نحو أن تجعل الرجل كأنه فى حقيقة الأسد .. وكيف السبيل إلى دفعه، وعليه المعول فى كون التشبيه على حد المبالغة، وهو الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه المرسل"^(٣).

ثانيهما: عدم التقييد فقد قال وهو يتكلم عن الفرق بين فعل الربيع، وفعل الحى القادر " وإثبات الفعل من غير أن يقيد بما وقع الإثبات له لا يصح الحكم عليه بمجاز، أو حقيقة، فلا يمكنك أن تقول

(١) المفتاح / ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) نفسه / ١٩٦.

(٣) أسرار البلاغة / ٣٣٠.

إثبات الفعل مجاز ، أو حقيقة هكذا مرسلا ، وإنما تقول إثبات الفعل للربيع مجاز ، وإثباته للحى القادر حقيقة" (١).

فنجده قد استعمل كلمة (مرسل) بمعنى عدم التقييد ، وخلو التشبيه عن دعوى الاتحاد الموجودة فى الاستعارة ، ويبدو أن ما يتردد فى كتب البلاغة من أن هذا المجاز سمي مرسلا ؛ لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد الموجودة فى الاستعارة ، أو لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة (٢) مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر المتقدم وكان المأمول أن يقرن السكاكى هذا الاسم أيضا بالعلاقات التى ذكرها فى موضع آخر (٣) ليكون أتم للفائدة ، ولكنه لم يفعل ، وحسبه أنه أحرز قصبات السبق ، وأخرج هذا المصطلح إلى عالم الوجود .

وقد عرض السكاكى لبعض علاقات المجاز المرسل ، وصرح باسم بعضها أثناء إلقاء الضوء عليها و هذه العلاقات هى :

السببية : ذكر السكاكى هذه العلاقة صراحة فى قوله " ونحو أن يراد التبت بالغيث كما يقولون رعيننا غيثا لكون الغيث سببا فيه" (٤).

(١) نفسه / ٣٣٢- ٣٣٣ ، وينظر المباحث البيانية فى تفسير الفخر

الرازى ١٦٥- ١٦٦ .

(٢) ينظر - مثلا - الأطول ، للعصام ١١٨/٢ .

(٣) المفتاح / ١٧٢ - ١٧٤ .

(٤) المفتاح / ١٧٣ .

فإطلاق الغيث علي النبات مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن الغيث سبب في النبات، ومعلوم أن الغيث لا يرعى ، وإنما يرعى النبات الذي الغيث سبب فيه ، وقوله (.. لكون الغيث سببا فيه) صريح في ذكر اسم هذه العلاقة.

وأشار إليها أيضا في قوله " نحو أن تراد النعمة باليد ، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث إنها تصدر عن اليد، ومنها تصل إلي المقصود بها .. " (١).

وكلامه في المرضعين السابقين مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٢) وألمح السكاكي إلى هذه العلاقة في قوله "وقول القائل : ... يأكلن كل ليلة إكافا

أى علفا بعمن إكاف للتعلق بين ذلك العلف، وبين الإكاف ، وقولهم أكل فلان الدم أى الدية ، للتعلق بينهما " (٣).

واضح أن إطلاق الإكاف على العلف من قبيل علاقة السببية ؛ لأن الإكاف بيع واشترى بثمنه علف، والدم الذى سفك من القتل سبب في الدية التى يشتري منها ولى القتل ما يقتات به، فإطلاق الدم على الدية ، لأنه سبب فيها من إطلاق السبب على المسبب. ولعله قد تأثر الزمخشري في المثالين الأخيرين فقد قال عند تفسير

(١) نفسه / ١٧٢- ١٧٣.

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٧- ٣١٨.

(٣) المفتاح / ١٧٣.

قوله تعالى " أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار " (١) .. ومنه قولهم أكل سلالان الدم إذا أكل الدية التى هل بدل منه قال (أكلت دما إن لم أرعك بضرة) وقال (يأكلن كل ليلة إكافا).
أراد ثمن الإكاف ، فسماه إكافا لتلبسه بكونه ثمن له" (٢).

المسببية: تكلم عن هذه العلاقة، وصرح باسمها فى بعض المواضع من حديثه عنها فقد قال " ومن أمثلة المجاز قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) (٣) استعملت قرأت مكان أردت القراءة؛ لكون القراءة مسببة عن إرادتها استعمالا مجازيا بقرينة الفاء فى (فاستعذ) والسنة المستفيضة بتقديم الاستعاذة ، ولا تلتفت إلي من يؤخر الاستعاذة ، فذلك لضيق العطن، وقوله (ونادى نوح ربه) (٤) فى موضع أراد نداء ربه بقرينة (فقال رب) وقوله (وكم من قرية أهلكناها) (٥) فى موضع أردنا هلاكها بقرينة (فجاءها بأسنا) والباس الإهلاك ... " (٦) فقوله فى إثر آية (النحل) (لكون القراء

(١) البقرة / ١٧٤.

(٢) الكشاف ١/١٠٨.

(٣) النحل / ٩٨.

(٤) هود / ٤٥.

(٥) الأعراف / ٤.

(٦) المفتاح / ١٧٣.

مسببة عن إدارتها صريح في أنه ذكرها باسمها ، ولعله متأثر بكلام صاحب الكشاف حول هذه الآيات فقد ذكر أن الإهلاك للقرية معناه أردنا إهلاكها^(١) والنداء في آية هود (إرادة النداء)^(٢) والقراءة في آية (النحل) (أردت قراءة القرآن)^(٣).

المجاورة : وأشار إلى علاقة المجاورة في قوله " .. ونحو أن تراد المزايدة بالراوية وهي في الأصل اسم للبعير الذي يحملها ، للعلاقة الحاصلة بينها وبينه بسبب حمله إياها ، أو أن يراد البعير بالخفض ، وهو متاع البيت..."^(٤).

الجزئية : وأوماً إلى علاقة الجزئية في قوله " ونحو أن يراد الرجل بالعين إذا كان ربيثة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيثة صارت كأنها الشخص كله " ^(٥).

ولم يقصر السكاكى علاقات المجاز المرسل في تلك العلاقات التي سلف ذكرها ؛ لأن علاقة الملابس ، والتعلق تتسع لكثير من العلاقات ولذلك قال بعد أن ذكر العلاقات السابقة " ... وأمثال ذلك مما تعدى الكلمة بمعونة القرينة عن معناها الأصلي إلى غيره ، لتعلق بينهما بوجه قويا أو ضعيفا ، واضحا أو خفيا... "^(٦).

(١) الكشاف ٥٣/٢ .

(٢) نفسه ٢١٨/٢ .

(٣) نفسه ٣٤٣/٢ .

(٤) المفتاح / ١٧٣ .

(٥) نفسه / ١٧٣ .

(٦) المفتاح / ١٧٤ .

المجاز المرسل عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩ هـ :

جاء الخطيب فوجد السكاكي قد سمي هذا المجاز باسمه (المجاز المرسل) وأخذ هذا المصطلح الجديد مكانه في ساحة الدرس البلاغي بعد أن كان معروفا من قبل عن طريق ملايسات المعني الأصلي ، والمعني المجازي - فذكر كثيرا من علاقاته منضوية تحت اسمه في موضع واحد فقال في (تلخيص المفتاح) " .. والمرسل كاليد في النعمة ، والراوية في المزايدة ، ومنه تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الريئة ، وعكسه كالأصابع في الأنامل وتسميته باسم سببه نحو رعينا الغيث، أو مسببه نحو أمطرت السماء نباتا، أو ما كان عليه نحو (وأتوا اليتامى أموالهم) (١) أو ما يشول إليه نحو (إني أراني أعصر خمرا) (٢) أو محله نحو (فليدع ناديه) (٣) أو حالة نحو (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) (٤) أي في الجنة، أو آله نحو (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (٥) أي ذكرا حسنا" (٦).

(١) النساء / ٢.

(٢) يوسف / ٣٦.

(٣) العلق / ١٧.

(٤) آل عمران / ١٠٧.

(٥) الشعراء / ٨٤.

(٦) تلخيص المفتاح / ٨٠-٨١.

وينظر بغية الإيضاح / ٩١-١٠٤.

وقوله فى صدر كلامه "كاليد فى النعمة" إشارة إلى علاقة السببية، وقد ذكرها باسمها خلال كلامه فى قوله (نحور عيننا الغيث، وقوله عقب المشال الأول (والراوية فى المزايدة) إشارة إلى علاقة المجاورة، وقد صرح باسمها فى الإيضاح^(١) " وكان عليه أن يذكر هذه الأمثلة فى مواضعها"^(٢).

والعلاقات التى ذكرها (تسع علاقات ، وذكر قبلها الراوية للمزايدة ، وهو من مجاز المجاورة، وكأنه استغنى بمثاله عن ذكره ، فحاصل ما ذكره عشرة)^(٣) ويشعر كلامه فى تلخيص المفتاح أنه لم يقصد حصر علاقات هذا المجاز فى تلك التى ذكرها ، كما ينبىء بذلك قوله فى صدر العلاقات التى عددها (ومنه تسمية الشئ باسم جزئه..). ولو كان مراده حصرها ، لقال - مثلا - وهذه العلاقات هى ... ولم يقل (ومنه ..).

وقد يؤيد هذا الفهم أنه قال فى الإيضاح عقب علاقات المجاز المرسل " .. وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ، وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه "^(٤) وهو فى ذلك سائر على نهج السكاكى،

(١) نفسه / ٩١ .

(٢) عروس الأفراس فى شرح تلخيص المفتاح ، لبهاء الدين السبكي ٤ / ٣٦ شروح التلخيص .

(٣) نفسه ٤ / ٤٣ .

(٤) بغية الإيضاح ٣ / ١٠١ .

ومتابع له، فهو لم يرد حصر العلاقات، وإنما ذكر نماذج منها ، وترك الباب مفتوحاً أمام غيرها من العلاقات ، والملابسات التي تقوم ، وتتواصل على روابط بعيدة عن التشبيه.

ولعله من أجل ذلك لم تتفق كلمة البلاغيين على عدد معين من تلك العلاقات، فصاحب المطول يقول:

" وأنواع العلاقة المعتبرة كثيرة يرتقى ما ذكره إلى خمسة وعشرين.. " (١) وبهاء الدين السبكي يقول " وقد ذكر غيره - أى غير الخطيب - علاقات كثيرة تقارب هي وما ذكرناه أكثر من ثلاثين.. " (٢) ، وقد عد الإمام الزركشى من هذه العلاقات ستاً وعشرين (٣) وقال صاحب الرسالة البيانية (علاقات المجاز المرسل على التحقيق تسعة عشر) (٤).

وليس من هدف هذا العمل تتبع هذه العلاقات ، وتحديد عددها.

(١) المطول / ٣٥٥.

(٢) عروس الأفراح ... ٤٣/٤ شروح التلخيص .

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٢٥٩/٢ - ٢٩٨.

(٤) الرسالة البيانية ، للصبان / ١٩٦.

الفصل الثاني

علاقات المجاز المرسل فى لسان العرب

- ١- السببية .
- ٢- المسببية.
- ٣- الآلية.
- ٤- المجاورة.
- ٥- اعتبار ما كان .
- ٦- اعتبار ما يؤول إليه .
- ٧- الكلية.
- ٨- الجزئية .
- ٩- المحلية .
- ١٠- الحالية.

السببية

هى "كون الشئ سببا ومؤثرا فى شئ آخر.." (١) نحو قولهم
رعينا غيثا أى نباتا حاصلًا بالغيث (٢).
وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة على صور مختلفة:
إحداها: أنه كان يصرح بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز،
وإن كان لم يذكر اسم أو نوع هذا المجاز، ومن هذه المواضع ما ذكره عند
تناوله لبعض آى الذكر الحكيم، فقد صرح بأن استهزاء الله عز وجل
فى مقابلة استهزاء المنافقين مجاز، ومخادعته - تعالى - فى مقابلة
مخادعتهم مجاز، فقال: "...كقوله تعالى (إنما نحن مستهزون الله
يستهزئ بهم.." (٣) والاستهزاء من الكفار حقيقة، وتعليقة بالله عز
وجل مجاز جل ربنا وتقدس عن الاستهزاء، بل هو الحق، ومنه الحق،
وكذلك قوله تعالى: "بخادعون الله وهو خادعهم" (٤) والمخادعة من
هؤلاء فيما يخيل إليهم حقيقة، وهى من الله سبحانه مجاز إنما
الاستهزاء والخدع من الله عز وجل مكافأة لهم .." (٥).

(١) الرسالة البيانية للصبان / ١٩٧.

(٢) ينظر حاشة الإتهابى على الرسالة البيانية للصبان / ١٩٧.

(٣) البقرة الأيتان / ١٤، ١٥.

(٤) النساء / ١٤٢.

(٥) لسان العرب ٣ / ١٦٥٠ (رشد).

فإطلاق الاستهزاء المتعلق بالله سبحانه وتعالى على معاقبتهم
ومجازاتهم مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب، لأن
استهزاءهم كان سببا في مكافأتهم على سوء عملهم، ومثل ذلك
المخادعة الحاصلة منهم ، والمنسوية إلى الله عز وجل.
وقد نظّر صاحب اللسان المجاز في الآيتين السابقتين بقول عمرو
ابن كلثوم.

ألا لايجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ثم عقب على البيت بقوله: " أي إنما نكافئهم على جهلهم" (١).
فهو يريد أن يقول إن قول الشاعر : (...فنجهل..) ليس جهلا
على الحقيقة، إنما هو مجازاة على الجهل السابق في البيت ، فأطلق
الجهل على المجازاة ، والمكافأة ؛ لأن الجهل الأول كان سببا في هذه
المجازاة، فهو من إطلاق السبب على المسبب.
ولا يخفى أن الجهل في البيت ليس مقابلا للعلم ، وإنما هو الخفة
والطيش والنزق والسفاهة (٢) على حد قول حسان :

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم (٣)
فقد جعل الجهل مقابلا للحلم ، لا للعلم.

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) ينظر شرح المعلقات السبع ، للزوزنى / ١٥١.

(٣) البيت في لسان العرب ٣٢٧٣/٥ (غطى).

ونظر صاحب لسان العرب المجاز في بيت عمرو بن كلثوم الذي تقدم ذكره، وما قبله بالمجاز في قوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " (١).

ولم يوضح ما في الآية الأخيرة من مجاز، ولكنه عرض له في موضع آخر بشئ من البسط، والإيضاح، فذكر أن الاعتداء في قوله تعالى (فاعتدوا) ليس اعتداء على وجه الحقيقة، وإنما هو مجازة على اعتداء، فقال بعد أن أورد الآية الكريمة "سماه اعتداء؛ لأنه مجازة اعتداء فسمى بمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة، والآخر معصية.." (٢).

فكلامه واضح في أن الاعتداء في قوله تعالى (فاعتدوا) مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب؛ لأن الاعتداء الأول سبب في هذا الرد، وتلك المجازة، وإن كانت صورة الفعلين واحدة - كما قال - وقد وقفت أمام قوله (وإن كان أحدهما طاعة، والآخر معصية) يقصد أن الاعتداء على الناس ابتداء معصية، والاقتصاص من المعتدى طاعة، وتساءلت في نفسي هل يعتبر رد الاعتداء طاعة يثاب عليه فاعله مع دعوة الإسلام المتكررة في القرآن والسنة إلى العفو عن الناس، والإعراض عن الجاهلين منهم. في مثل قوله تعالى : "...والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" (٣)، وقوله " فمن عفا وأصلح فأجره على الله " (٤).

(١) البقرة / ١٩٤.

(٢) لسان العرب ٢٨٤٦/٤ (عدا).

(٣) آل عمران / ١٣٤.

(٤) الشورى / ٤٠.

الذى يتبادر إلى نفسى - والله أعلم - أن من يجازى المسئ
بإساءته ، ويقتص منه قد رفع الله عنه المؤاخذة ، كما ينطق بذلك قوله
تعالى " ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل " (١) .
أما أن يكون ذلك من قبيل الطاعة التى يثاب عليها فاعلها ،
فهذا ما يحتاج إلى تحرير وتدقيق ليس هذا موضعه .

وكان جميلا من صاحب لسان العرب أن يلوح إلى أن أسلوب
هذه الآيات التى عبر فيها بالسبب عن المسبب جار على نهج العرب
فى كلامهم ، وسائر على طريقهم المألوف فى بيانهم ، فقد قال فى
إثر كلامه الذى سلف ذكره : "والعرب تقول ظلمنى فلان فظلمته أى
جازيته بظلمه والأول ظلم ، والثانى جزاء ليس بظلم ، وإن وافق اللفظ
اللفظ.." (٢) .

وهو بذلك يؤكد أن القرآن الكريم أنزله الله بلسان عربى مبين ،
وقد ساق صاحب لسان العرب أمثلة أخرى لهذا الأسلوب من كلام
العرب عندما تناول عقب كلامه السابق آية كريمة تشتمل على مثله
فقال " .. مثل قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٣) السيئة الأولى
سيئة ، والثانية مجازاة ، وإن سميت سيئة ، ومثل ذلك فى كلام
العرب كثير يقال أثم الرجل يأثم إثما وأثمه الله على إثمه أى جازاه
عليه بأثمه أثاما قال الله تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) (٤)

(١) الشورى / ٤١ .

(٢) لسان العرب ٢٨٤٦/٤ (عدا) .

(٣) الشورى / ٤٠ .

(٤) الفرقان / ٦٨ .

أى جزاء لأثمته، وقوله (إنه لا يحب المعتدين) المعتدون المجاوزون ما أمروا به " (١).

واضح من كلامه السابق أن السيئة الثانية فى الآية مجاز من إطلاق السبب على المسبب، والذي يدل على أنها مجاز أن الله رفع السبيل والمؤاخذة عن فاعلها، فقال فى عقب الآية التى ذكرت فيها "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل" (٢) ولو كانت سيئة على الحقيقة ، ماصح ذلك (٣).

وقد لحظت أن صاحب لسان العرب قد أورد فى أواخر كلامه الذى نحن بسبيله قوله تعالى: " إنه لا يحب المعتدين " على أنه كما يبدو من سياق حديثه تذييل لقوله تعالى: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (٤) لأنها أقرب الآيات التى جاء فيها (اعتداء) والصواب أن تلك الآية قد ختمت بقوله تعالى: "واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين".

وليس يبعد أن يكون قد أورد على أنه تذييل لقوله تعالى: "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا" (٥) فإن صح

(١). لسان العرب ٢٨٤٦/٤ - ٢٨٤٧ (عدا).

(٢) الشورى / ٤١.

(٣) بنظر تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضى عبد الجبار / ٣٧٥ .

(٤) البقرة / ١٩٤.

(٥) البقرة / ١٩٠.

ذلك، فإنه يؤخذ عليه أنه فصله عن آيته بعدة آيات ، وجعل الشقة بينهما بعيدة ، وأيضا فإن هذه الآية قد ختمت بقوله عز وجل : " إن الله لا يحب المعتدين " (١) بإظهار اسم الجلالة ، ولعل ذلك سهو ، أو خطأ من النساخ.

وما ذكره صاحب لسان العرب حول الآيات التي سلفت ، وأمثالها من كلام العرب مشهور متداول عند البيانين (٢).

وقد ذكر الخطيب القزويني في الإيضاح ضمن أمثلة السببية قوله تعالى: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " (٣) وقال : سمي جزاء الاعتداء اعتداء؛ لأنه مسبب عن الاعتداء " (٤) وقوله تعالى: " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (٥) وقال : " تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص؛ لأنه مسبب عنها " (٦).

ثم قول عمرو بن كلثوم :

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال "الجهل الأول حقيقة، والثاني مجاز عبر به عن مكافأة

الجهل" (٧).

(١) البقرة / ١٩٠.

(٢) ينظر -مثلا- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة / ٣٧٧.

(٣) البقرة / ١٩٤.

(٤) بغية الإيضاح ٩٦/٣.

(٥) الشورى / ٤٠.

(٦) المرجع نفسه والموضع.

(٧) المرجع السابق الموضع نفسه.

وقد حاول بهاء الدين السبكي أن يجعل الجهل الثانى فى قول عمرو بن كلثوم المعبر عنه بقوله (فنجهل) حقيقة، وليس مجازا ؛ لأنه زائد على الجهل الأول ، والزيادة جهل حقيقى، ولكنه سرعان ما رجع عوده على بدئه ، وأبقاه على مجازيته فقال : " ... ثم نقول (فنجهل فوق جهل الجاهلينا) حقيقة قطعا؛ لأن الجهل فوق جهل الجاهلين ليس مكافأة؛ لأنه ليس مثله، بل زائد عليه ، والزيادة على مقدار القصاص جهل بخلاف (مثل ما اعتدى عليكم) .. وقد يجاب عنه بأن مقابلة التأديب بأكثر منه عند الجاهلية كان محمودا يمتدحون به، فليس جهلا حقيقة، فصح أن تسميته جهلا مجازاً^(١).

ومن المواضع التى صرح فيها بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز ما ذكره فى قوله صلى الله عليه وسلم: " من ولى قاضيا، فقد ذبح بغير سكين"^(٢) ، فقد ذكر أن الذبح فى الحديث مجاز عن الهلاك؛ لأنه من أسرع أسبابه يقال بعد أن أورد الحديث:

" ... معناه التحذير من طلب القضاء ، والحرص عليه أى من تصدى للقضاء وتولاه ، فقد تعرض للذبح فليحذره ، والذبح ههنا مجاز عن الهلاك ؛ فإنه من أسرع أسبابه..."^(٣).

فالذبح فى الحديث ليس ذبحا على سبيل الحقيقة، وإنما هو مجاز عن الهلاك.

(١) عروس الأفراح ٣٨/٤ شرح التلخيص .

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير

١٥٣/٢ .

(٣) لسان العرب ١٤٨٥/٣ (ذبح).

وقد بين صاحب لسان العرب أن فائدة قوله صلى الله عليه وسلم - (بغير سكين) وهو ما يبدو أنه ترشيح للمجاز تحتمل وجهين أحدهما: أن الذبح إذا كان بغير سكين، يكون تعذيبا للمذبوح، وهذا أبلغ في الحذر منه الثاني أنه هلاك لدين ذلك القاضى، لا لبدنه (١).
وليس فى هذا الحديث تنفير من القضاء، أو انتقاص من رسالته السامية، وكذلك ليس فيه غض من قيمة القضاة، أو ازدراء بهم، وإنما هو - كما يبدو - تحذير لنوع من القضاة، ضعفاء فى نزاهتهم، لا يتحرون الحق ولا يحكمون بالعدل.

ثانيهما: أنه كان أحيانا لا يصرح بلفظ المجاز، ويذكر بدلا منه كلمة (سبب) أو نحو ذلك خلال توضيحه لحقيقة هذا المجاز، وإلقاء الضوء عليه.

ومن هذا النوع ما ذكره فى بعض المواضع عندما قال:
من الأكلين الماء ظلما فما أرى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء
فإنما يريد قوما كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمنه ما يأكلون،
فاكتفى بذكر الماء الذى هو سبب المأكول عن ذكر المأكول (٢).
فالماء ليس مأكولا، إنما المأكول شئ اشترى بثمن الماء، فأطلق الماء وهو السبب على الشئ المأكول المسبب عن ثمن الماء، والقريئة - كما يبدو - فى البيت كلمة (الأكلين) التى عملت فى لفظ الماء النصب، ويدهى أن الأكل لا يكون للماء، وإنما يكون للطعام.

(١) ينظر المصدر السابق الموضع نفسه.

(٢) لسان العرب ١٠١/١ (أكل).

ويبدو أن بيع الماء كان مذموماً عند العرب؛ لكرمهم ، وشغفهم
بمعالي الأمور، والترفع عن سفاسفها ، ولعل بعض أراذلهم كانوا
يبيعونه، ويأكلون بثمنه ، والبيت ينضح بهذا الدم ، وإن كنا لاندرى
شيئاً عن سياقه، ومناسبته ؛ لأن الماء ضرورة من ضرورات الحياة،
لا يستغنى عنه كائن حي ، وربما كان هذا هو السبب الذي حدا برسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الماء شركة بين الناس جميعاً
عندما قال : "المسلمون شركاء في ثلاث في الكلاً والماء والنار " (١).
ويؤكد ما ذكره صاحب اللسان حول المجاز في البيت السالف
الذكر أن ابن جنى عده من باب الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وهذا
يعنى أن في البيت مجازاً مرسلًا علاقته السببية، وقد أورد البيت
برواية أخرى لا تختلف عن تلك التي جاءت في لسان العرب إلا في
كلمة واحدة هي الفعل (ذر) في صدر البيت بدلا من حرف الجر (من)
فرواه على هذه الصورة :

ذر الاكلين الماء ظلما فما أرى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء
ثم أردف البيت بقوله: "يريد قوما كانوا يبيعون الماء، فيشترون
بشمنه ما يأكلونه ، فاكتفى بذكر الماء الذي هو سبب المأكول من ذكر
المأكول" (٢)، وقد لحظت أن كلمات صاحب اللسان تجاه المجاز في
البيت مأخوذة بنصها وفصها من كلام ابن جنى ، ولعله ناقل عنه
مباشرة ، أو أخذ عن نقل عنه.

(١) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب في منع الماء ٢٧٨/٣ .
(٢) الخصائص، لابن جنى ١٥٢/١ تحقيق محمد على النجار، دار الهدى
للطباعة والنشر لبنان - بيروت ط ثانية .

ومن هذا النوع الذى صرح فيه صاحب اللسان بكلمة (السبب) ما ذكره من إطلاق الإملاق ؛ وهو كثرة إنفاق المال ، وتبذيره على الافتقار فقد قال : " الإملاق الافتقار قال اله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) (١) .

وفى حديث فاطمة بنت قيس أما معاوية فرجل أملق من المال (٢) أى فقير منه قد نفذ ماله ، يقال أملق الرجل فهو مملق ، وأصل الإملاق الإنفاق يقال أملق مامعه إملاقا ، وملقه ملقا إذا أخرجته من يده ، ولم يحبسها ، والفقير تابع لذلك ، فاستعملوا لفظ السبب فى موضع المسبب حتى صار به أشهر ... " (٣) .

ويتابع صاحب اللسان كلامه قائلا:

" ... والإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ... وقيل المملق الذى لاشئ له .. " (٤) .

فكلامه صريح فى أن إطلاق الإملاق على الفقر ، من إطلاق السبب على المسبب ؛ لأن الإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره ، والفقر تابع لذلك ، ومضمون كلام صاحب لسان العرب أن هناك فرقا بين الإملاق والفقر ؛ فالإملاق افتقار أتى بعد غنى ووجد ، جلبيه الإسراف والتبذير ، والفقر العدم ابتداء .

(١) الأتعمام / ١٥١ .

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غرب الحديث والأثر ، لابن الأثير

٣٥٧/٤ .

(٣) لسان العرب ٤٢٦٥/٦ (ملق) .

(٤) المصدر نفسه والموضع .

وقد ذكر في آخر كلامه الذي نقلته آنفا قولاً آخر هو أن المملق هو الذي لا شيء له، وعلى هذا الرأي لا يكون مما نحن فيه ، وقد أورد هذا الرأي بصيغة (قبيل) التي تدل على ضعف هذا الرأي عنده، وأنه يفضل القول بأن الإملاق هو الفقر أو الافتقار الذي جاء من السرف والتبذير.

وقد يؤيد هذا الرأي ويسانده قول الزمخشري أملق الدهر ماله أذهب، وأخرجه من يده ، وأملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر..^(١).
والذي يهمنا في هذا المقام أن العرب استعملوا لفظ الإملاق بمعنى الفقر استعمالاً للسبب مكان المسبب، فيكون مجازاً مرسلًا علاقته السببية ، ويظهر أن هذا المجاز قد شاع واشتهر عندهم حتى صار حقيقة في الفقر، ولعله من أجل ذلك ذكر كثير من المفسرين أن الإملاق في قوله تعالى (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق)^(٢) هو الفقر^(٣) دون أن يلتقوا بالآل لكون هذا الفقر أصيلاً أو طارئاً ؛ لأن هذا لا يتعلق به غرض من الأغراض^(٤).

(١) أساس البلاغة (ملق).

(٢) الأتعام / ١٥١.

(٣) ينظر الكشاف ٤٨/٢ والتفسير الكبير ، ٢٤٥/١/٧ ، وتفسير أبي السعود ١٩٨/٤/٢ ، وتفسير البيضاوي / ٢٢٠.

(٤) ذكر أبو هلال العسكري أن المملق مشتق من الملق، وهو الخضوع والتضرع ، ولما كان الفقير في أغلب الأحوال خاضعاً متضرعاً سمي مملقاً، ولا يكون إلا بعد غنى ثم قال: "ويجوز أن يقال إن الإملاق نقل إلى عدم التمكن من النفقة على العيال..."
الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري/ ١٧١ منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط خامسة ١٩٨١م.

ثالثها: أنه كان في بعض الأحيان لا يصرح بلفظ المجاز ،
ولا بكلمة السبب أو نحوها ، ولكن عرضه لمعنى المجاز أو بيانه
للدلوله يشعر أنه يقصد هذا النوع من المجاز أعنى إطلاق السبب علي
المسبب.

من ذلك ما ذكره عند تناوله لمادة (رحم) فقد قال: " .. وسمى
الله الغيث رحمة؛ لأنه برحمته ينزل من السماء " (١).

فقوله (لأنه برحمته ينزل ..) ينبىء أن الرحمة سبب في إنزال
الغيث، وهو مسبب عنها ، وهذا مجاز مرسل علاقته السببية ..
ولم يصرح في هذا الموضوع إلا بهذه الكلمات المقتضبة حول هذا
المجاز ، ولم يوصى إلى الآية الكريمة التي سمي الله فيها الغيث رحمة ،
ولعله يشير إلى مثل قوله تعالى: " وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته " (٢).

فإن رحمته في هذه الآية يراد بهما - والله أعلم - الغيث ، وقد
صرح بذلك غير واحد من المفسرين فقد قال صاحب الكشاف:
"..... (بين يدي رحمته) أمام رحمته، وهي الغيث الذي هو أتم
النعمة.." (٣) وعبارة البيضاوي وأبي السعود " قدام رحمته التي هي
المطر " (٤) وظاهر أن أبا السعود قد نقلها عن البيضاوي، وكلاهما
يرتشف من بيان جار الله الزمخشري، ويغترف من علمه الغزير.

(١) لسان العرب ١٦١٣/٣ (رحم).

(٢) الأعراف / ٥٧ .

(٣) الكشاف ٦٦/٢ .

(٤) ينظر تفسير البيضاوي / ٢٣٠ ، وتفسير أبي السعود ٢٣٤/٤/٢ .

ومن هذا القبيل ما ذكره حول قول الراجز :

إن لنا أحمره عجافا يأكلن كل ليلة إكافا
فقد قال فى إثره: " أى يأكلن ثمن إكاف أى يباع إكاف ويطعم
بشمنه ، ومثله نطعمها إذا شئت أولادها أى ثمن أولادها ، ومنه المثل
تجوع الحرة ، ولا تأكل ثدييها (١) أى أجرة ثدييها" (٢).

واضح أن فى (إكاف) مجازا مرسلا علاقته السببية، استعمل
فيه السبب مكان المسبب ، إذ المراد به علف يشتري بثمن إكاف،
والقرينة على ما يبدو قوله (يأكلن) لأن الإكاف، وهو البرذعة (٣)
لا يؤكل، وكذلك المراد بأولادها فى قولهم (نطعمها إذا شئت أولادها)
ثمن أولادها ، والمراد بثدييها فى المثل أجرة رضاع ثدييها.

ونلاحظ فى بادئ النظر أن السببية فى جميع تلك الأمثلة
ليست مباشرة؛ لأن الإكاف - مثلا- أطلق على ثمنه ، ثم أطلق ثمنه
على ما يشتري به، ويؤكل، وهو العلف؛ لذلك قال صاحب بغية الإيضاح

(١) أى لا تكون مرضعة وإن أذاها الجوع ، ويروى بثدييها ، ومعناها
واحد لأن معنى لا تأكل ثدييها لا تأكل أجرة ثدييها ، ومعنى بثدييها
أى لا تعيش بسبب ثدييها ، وبما يفلان عليها. مجمع الأمثال ،
للميدانى ١/١٢٢ ، ١٢٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد،
مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥م.

(٢) لسان العرب ١/١٠٠ (أكل).

(٣) ينظر المعجم الوجيز مادة (أكف) إصدار مجمع اللغة العربية -
القاهرة.

عن المجاز فى هذا المثال إنه - أى الإكاف- " يجوز أن يكون مجازا عن ثمنه، ثم صار مجازا عن العلف ، فيكون مجازا على مجاز" (١).
وسنعرض - إن شاء الله- فيما يأتى لاستعمال المجاز على
المجاز.

ومن هذا الضرب الذى لم يصرح فيه بكلمة المجاز، أو بكلمة السبب، أو نحوها- ما جاء فى الحديث الذى أورده صاحب لسان العرب وهو يتناول معنى (التنور) الذى يخبز فيه (٢) فقد قال :
"... وفى الحديث قال لرجل عليه ثوب معصفر: لو أن ثوبك فى تنور أهلك ، أو تحت قدرهم ، كان خيرا (٣) فذهب فأحرقه . قال ابن الأثير إنما أراد أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبزه ، أو حطب تطبخ به، كان خيرا لك، كأنه كره الثوب المعصفر" (٤).

واضح من تعقيب ابن الأثير على الحديث المذكور أن فى قوله صلى الله عليه وسلم (ثوبك...) مجازا مرسلا علاقته السببية حيث ذكر السبب ، وأريد به المسبب ، وهو ما يشتري بثمن الثوب من حطب ودقيق.

(١) بغية الإيضاح ٩٤/٣.

(٢) لسان العرب ٤٥٠/١ (تنر).

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غرب الحديث والأثر ، لابن الأثير
١٩٩/١.

(٤) فى المعجم الوجيز : يقال عصفر الثوب وغيره صبغه بالعصفر ، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه (مادة عصفر).

والقرينة في هذا الحديث- كما يبدو- معنوية لم يفتن لها هذا الرجل، فلا يتصور أن يطلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أحد أفراد أمته أن يحرق ثوبه، ويتلف ماله^(١) ومن يدرى لعله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من أحوال هذا الرجل ما ليس مصرحا به في الحديث من فقره، وحاجته، وحاجة أهله إلى ثمن هذا الثوب، يشترون به ما يسد رمقتهم، أو يدفع مسغبتهم.

وقد يؤيد هذا الفهم إضافة (تنور) إلى (أهلك) في الحديث، فهم المحتاجون إلى ثمن هذا الثوب، الأحرىء بأن ينتفعوا به، ولو كان الأمر كما قال ابن الأثير" .. كانه كره الثوب المعصفر" لأمره بتغييره، أو نهاه عن لبسه.

(١) نبهني أحد الأساتذة الأجلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أحد أصحابه بحرق ثوبه المعصفرين، فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم عليّ ثوبين معصفرين فقال: أأمك أمرتك بهذا؟ قلت أغسلهما قال: بل احرقهما.

صحيح مسلم بشرح النووي ٧٨٨/٤ ط الشعب .

ولا يخفى أن هذا الحديث الذي رواه مسلم ليس فيه مجاز، ولعله يمثل حالة خاصة رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا - رضي الله عنه ذا مال، وميسرة، فأراد أن يشدد عليه العقوبة زجرا له ولغيره عن مثل هذا الفعل - كما ذكر الإمام النووي في شرح هذا الحديث .

ينظر المرجع السابق الموضع نفسه .

بقيت كلمة تلح على نفسى أن أقولها فى هذا الرجل الذى جاء ذكره فى الحديث إن هذا الرجل كما بدا من صنيعه قوى الإيمان ، صادق مع الله ورسوله ، أطاع رسول الله فى أمر متوهم ، توهم أنه يريد منه أن يحرق ثوبه الذى يستره ، ويتجمل به فما تردد ، أو تلكأ ، أو جادل رسول الله فيما فهم من كلامه ، رضوان الله عليه .

ومن هذا القبيل الذى لم يصرح فيه بكلمة المجاز ، أو يذكر فيه كلمة السبب ، أو نحو ذلك ، ما أشار إليه من استعمال كلمة "اليد" فى معان مجازية كاستعمالها فى النعمة ، لأنها سبب فى إيصالها إلى المنعم عليه فقد قال: " ... واليد النعمة والإحسان تصطنعه ، والمنة ، والصنيعة ، وإنما سميت يدا ؛ لأنها إنما تكون بالإعطاء ، والإعطاء إنالة باليد ، والجمع أيد ، وأياد جمع الجمع " (١) .

فاليد بمعنى النعمة والإحسان مجاز مرسل علاقته السببية ، أطلق فيه السبب على المسبب ، وقد جاء على هذا النمط قول أبى الطيب المشهور :

له أياد على سابغة أعد منها ولا أعددها

حكى صاحب لسان العرب عن أحد اللغويين أنهم يقولون " له

على يد ، ولا يقولون له عندي يد وأنشد :

له على أياد لست أكفرها وإنما الكفر ألا تشكر النعم (٢)

ومن المعانى المجازية التى ألمح صاحب اللسان إلى أن اليد

تستعمل فيها أيضا القوة والقدرة والغنى فقد قال:

(١) لسان العرب ٤٩٥٢/٦ (يدى) .

(٢) المصدر نفسه ٤٩٥٣/٦ (يدى) .

".. والعرب تقول مالى به يد أى مالى به قوة، ومالى به يدان ،
ومالهم بذلك أيد أى قسوة، ولهم أيد وأبصار، وهم أولو الأيدي
والأبصار، واليد الغنى والقدرة تقول مالى عليه يد أى قدرة" (١).
ونلاحظ أن قوله : وهم أولو الأيدي والأبصار اقتباس من قوله
تعالى: "واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي
والأبصار" (٢).

وقد ذكر العلامة أبو السعود فى تفسيره ما يؤيد هذا المعنى
الذى قاله لسان العرب فقد قال فى معنى (أولى الأيدي والأبصار)
".. أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين" (٣).

وقد تطرق البلاغيون إلى استعمال "اليد" فى النعمة ، والقوة ،
والقدرة، فذكر الشيخ عبد القاهر الجرجانى " أن اليد تقع للنعمة ،
وأصلها الجارحة ، لأجل أن الاعتبار اللغوية تتبع أحوال المخلوقين
وعاداتهم ، وما يقتضيه ظاهر البيئة ، وموضوع الجبلة، ومن شأن
النعمة أن تصدر عن اليد ومنها تصل إلى المقصود بها، والموهوبة هى
منه ، وكذلك الحكم إذا أريد باليد القوة والقدرة ؛ لأن القدرة أكثر
ما يظهر سلطانها فى اليد وبها يكون البطش والأخذ والدفع والمنع
والجذب والضرب والقطع.." (٤).

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) ص ٤٥ / .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٣٠/٧/٤.

(٤) أسرار البلاغة / ٣١٦.

فاليد على وجه الحقيقة هي المجازحة التي خلقها الله للإنسان ، وزوده بها؛ ليستخدمها في قضاء حاجاته، وإظهار مهاراته ، وتدوين علومه ، وإتقان فنونه ، وقد تخرج عن ذلك المعنى الأصلي لمعان مجازية- كما أسلفت - لها صلة وثيقة بمعناها الأصلي ، ورابطة قوية لاتنفصم عراها بين معناها الحقيقي ، ومعناها الذي خرجت إليه على سبيل المجاز، فاليد الحقيقية سبب في المعانى المجازية، وهى مسببة عنه " ولذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئاً لا ملابسة بينه وبين هذه المجازحة بوجه" ^(١) وكتب البلاشة على بكرة أبيها لاتكاد تخلو من إشارات إلى استعمال كلمة اليد بمعنى النعمة مجازاً مرسلًا علاقته السببية ^(٢) ، لذلك لا أجد داعياً إلى ذكر المزيد من كلامهم فى هذا الأمر.

وإذا كانت اليد قد أطلقت على أثرها كالنعمة وغيرها ، فإن الإصبع قد أطلقت على الأثر الحسن؛ لأنها سببه أيضاً قال صاحب لسان العرب : " والإصبع الأثر الحسن يقال فلان من الله عليه إصبع حسنة أى أثر نعمة حسنة وعليه منك إصبع حسنة أى أثر حسن ... وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع .. ويقال للراعى على ماشيته إصبع أى أثر حسن ، وعلى الإبل من راعيها إصبع مثله، وذلك إذا أحسن القيام عليها فتبين أثره فيها قال الراعى يصف راعياً:

(١) المرجع نفسه والموضع.

(٢) ينظر - مثلاً - المطول / ٣٥٥.

وبغية الإيضاح ٩١/٣.

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعها
ضعيف العصا أى حاذق الرعية، لا يضرب ضرباً شديداً يصفه
بحسن قيامه على إبله فى الجذب" (١).

وضعيف العصا كناية عن حسن الرعية، والعمل بما يصلحها،
ويحسن أثره عليها (٢) فهذا الراعى شفيق على إبله أو غنمه ، رقيق
بها " يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها
من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر".

وقد جعل الشيخ عبد القاهر الجرجانى إطلاق الإصبع على الأثر
الحسن عديلاً لإطلاق اليد على النعمة فقال عقب فراغه من الكلام
حول إطلاق اليد على النعمة: ؛ ... ونظير هذا قولهم فى صفة راعى
الإبل إن له عليها إصبعاً أى أثراً حسناً وأنشدوا :

ضعيف العصا بادي العروق (البيت)

وأنشد شيخنا -رحمه الله- مع هذا البيت قول الآخر :

(صلب العصا بالضرب قد دماها)

أى جعلها كالدمى فى الحسن (٣).

وقد بدا لى أن ثم تعارضاً بين كلام الشيخ عبد القاهر ،
وصاحب لسان العرب حول العلاقة فى إطلاق الإصبع على الأثر
الحسن ، فإن جعل الشيخ العلاقة بين الإصبع ، والأثر الحسن مناظرة

(١) لسان العرب ٤/٢٣٩٥ (صبع).

(٢) بغية الإيضاح ٣/١٨١.

(٣) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

للعلاقة بين اليد ، والنعمة يعارضه فيما يتراءى لى قول صاحب اللسان- الذى سبق ذكره قريبا- " وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع" لأنه يشعر أن العلاقة هى المسببية ؛ لأن الإشارة بالإصبع مسببة عن الأثر الحسن، وقد يقوى ذلك المنحى قول الزمخشري: " ورأيت على نعم بنى فلان إصبعاً لهم أى يشار إليها بالأصابع لحسنها وسمنها وحسن أثرهم فيها .." (١).

فإن صح هذا الذى بدا لى ، فليس حتماً أن يكون هذا التعارض ناتجاً عن خطأ فى كلام هؤلاء الأعلام الأفاضل ، فإن لكل وجهته التى يمكن أن نستشفها من خلال كلامه ، دون أن نجد لهذا التعارض أثراً، أو عثيراً؛ فإن الشيخ عبد القاهر يكون قد نظر إلى هذا المجاز من ناحية كون الإصبع سبباً فى أثرها، بخلاف ما ينبئ به كلام صاحب لسان العرب، والزمخشري من كون الإصبع مسبباً عن الأثر الحسن "ولاضير فى تعدد العلاقات فى المجاز الواحد ، ومدار الفرق بينهما فى العلاقة المقصودة" (٢).

وقد لحظت أن الشيخ عبد القاهر قد وفق بين قول الشاعر :

ضعيف العصا بآدى العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعاً
وشطر البيت الذى أنشده شيخه لشاعر آخر :
(صلب العصا بالضرب قد دماها).

(١) أساس البلاغة (صبع) .

(٢) بنظر حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية / ٤٦ .

مبيناً أن معناهما وإن بدا في بادئ النظر متضاداً إلا أنهما يرجعان إلى غرض واحد هو حسن سياسة الرعية، والحرص على صلاح أمرها فقال: " .. وكأن قوله (صلب العصا) وإن كان ضد قول الآخر (ضعيف العصا) فإنهما يرجعان إلى غرض واحد ، هو حسن الرعية، والعمل بما يصلحها، ويحسن أثره عليها، فأراد الأول بجعله ضعيف العصا أنه رفيق بها، مشفق عليها ، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير مالان من العصى ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها، عارف بسياستها فى الرعى، يزرعها عن المراعى التى لا تحمد، ويتوخى بها ماتسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد... " (١) ويبدو من توفيق الشيخ بين قول بعضهم (ضعيف العصا) وقول الآخر : (صلب العصا) أنه استوعب كلام اللغويين فيهما، ثم عرضه بأسلوبه الجميل الأخاذ الذى يملأ العين جمالا ، والأذن تشنيفا، فعلاوة على ما نقلته عن صاحب لسان العرب فى صدر هذا الحديث فقد وجدته فى موضع آخر ينقل عن الأزهري قوله :

" ويقال للراعى إذا كان قويا على إبله ، ضابطا لها إنه لصلب العصا ، وشديد العصا ومنه قول عمر بن لجأ : (صلب العصا جاف عن التفزل). " (٢)

(١) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

(٢) لسان العرب ٢٩٧٩/٤ (عصا).

ثم يضيف صاحب اللسان قائلاً:

" ورجل لين العصا رفيق حسن السياسة لما يلي يكتون بذلك
عن قلة الضرب بالعصا ، وضعيف العصا أى قليل الضرب للإبل
بالعصا . وذلك مما يحمد به ... " (١).

ويبدو من كلام اللغويين الذى أورده لسان العرب حول الكناتيتين
(ضعيف العصا) و (صلب العصا) أن الشيخ قد تأثره وهو يتناول
الكناتيتين أنفسهما ، وأضفى عليه مسحة من جمال أسلوبه ، وسحر
بيانه.

وإذا كان الشيخ عبد القاهر قد اعتبر الهدف من قول الشاعر
(ضعيف العصا) وقول الآخر (صلب العصا) واحدا ، ووفق بينهما
على أنهما لقائلين مختلفين ، فإننى وجدت الكناتيتين كلتيهما لشاعر
واحد ، وفى بيت واحد وحتى لا يبدو هذا الكلام كأنه ضرب من التعمية
أو الإلباس ، فإن بيت الراعى الذى سبق ذكره (ضعيف العصا ..) قد
ذكره صاحب لسان العرب فى موضع آخر برواية أخرى بدئ فيها
البيت بقوله (صليب العصا ..) فقال : " ... وقولهم فى الراعى
صلب العصا ، وصليب العصا ، إنما يرون أنه يعنف بالإبل قال الراعى :

صليب العصا بادی العروق ترى له

عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا (٢)

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧٦/٤ (صلب).

ولما كان هذا يعتبر تناقضا نسب إلى الشاعر، فقد رجعت إلى ديوانه لأتبين أى الروايتين اللتين ذكرهما صاحب اللسان قالها الشاعر؟ وقد وجدت البيت فى الديوان ^(١) مبتدأ بقوله (ضعيف العصا..) كما فى الرواية التى جاءت فى أسرار البلاغة ^(٢) وفى بعض المواضع من لسان العرب - كما سبق - ويهون من هذا الأمر أن الغرض من الكنايتين واحد ، ثم إن اختلاف الرواية فى الشعر العربى أمر معهود، لا غرابة فيه ، ولا يستبعد أن تكون رواية (صليب العصا) قد جاءت فى إحدى نسخ الديوان المخطوطة، لم يطلع عليها محققه.

بقيت كلمة فيما نحن بسبيله حول شطر البيت الذى نقله الشيخ عبد القاهر عن شيخه - وقد سلف ذكره قريبا - وهو:
صلب العصا بالضرب قد دماها
أى جعلها كالدمى فى الحسن كما قال الشيخ ^(٣) فقد عثرت على البيت كاملا فى لسان العرب ^(٤) وهو بتمامه:

صلب العصا بالضرب قد دماها يقول لبت الله قد أفناها

(١) ديوان الراعى النميرى / ١٦٢ جمعه وحققه راينهرت فايبيرت بيروت

- ١٤٠١ هـ ، دار النشر قرانتس .

(٢) أسرار البلاغة / ٢٨٣ .

(٣) أسرار البلاغة / ٢٨٣ .

(٤) لسان العرب ٣٤٧٨/٥ (فنى).

وقد أورد صاحب اللسان لقوله (قد دماها) معنيين غير المعنى
الذى ذكره الشيخ عبد القاهر أحدهما أنه سيل دمها بالضرب،
لخلافها عليه والثانى أنه دماها أى كساها السمن كأنه دمها
بالشحم؛ لأنه يرعيها كل ضرب من النبات.
وأورد لقوله (ليت الله قد أفناها) معنيين أيضا أحدهما أنه
دعا عليها بالهلاك والفناء والثانى ليت الله قد أنبت لها الفناء، وهو
عنب الذئب حتى تسمن وتغزر^(١).

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع.

المسببية

المسببية هـ ، كون الشيء مسببا عن شيء آخر نحو أمطرت السماء نباتا (١) فإن النبات مسبب عن المطر ، والمطر سبب في إنباته، ومثل قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى كذاك الإثم يذهب بالعقول
فقد أطلق الشاعر كلمة " الإثم " على الخمر ، لأنه ينشأ عنها (٢) من إطلاق المسبب على السبب، ويبدو أن القرينة هنا "شربت" لأن الإثم معنى من المعانى لا يشرب ، وكأن الشاعر أحس أنه قد اقترب إثما عظيما ملاً عليه حسه ، وكيانه، وملك شعوره ، ووجدانه، فأوما بهذا المجاز إلى أنه حين شرب الخمر ، كان يعب ذنوبا ، ويكرع عصيانا .

وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على صور مختلفة :

إحداها : أنه قد أشار إلى أن التعبير بالمسبب عن السبب ضرب من التجوز ، وداخل في نطاقه ، فقد ذكر في أحد المواضع أن إطلاق القول على الاعتقادات ، والآراء تجوز ؛ لأنها سبب فيه ، فقد قال: " القول عند المحقق كل لفظ قال به اللسان .. فأما تجوزهم في

(١) الرسالة البيانية ، للصبان / ١٩٧ .

(٢) ينظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلاتسى .٣٤/١٠ .

تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً ، فلأن الاعتقاد يخفى ، فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول ، سميت قولاً ؛ إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملائماً له^(١) .

فالاعتقادات سبب في القول الذي يترجم عنها ، ويبرز المستكن منها ، والقول مسبب عنها ، فيقال -مثلاً- فلان يقول برأى أهل السنة أى يعتقد معتقدهم ، وينهج نهجهم ، وقوله (... كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملائماً له) دليل على أن إطلاق القول على الاعتقاد مجاز مرسل ؛ لأنه هو الذى يبنى على الملازمة ، والارتباط بين المعنى الحقيقى ، والمعنى المجازى للفظ ، بعلاقة غير المشابهة .

ثانيتهما: أنه صرح عند بعض أمثلتها بأنها اتساع فى اللغة ، فقد عرض لإطلاق الرزق على المطر فى بعض الآيات القرآنية فقال "وقد يسمى المطر رزقا ، وذلك قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها) (٢) .

وقال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) (٣) قال مجاهد هو المطر . وهذا اتساع فى اللغة كما يقال التمر فى قعر القلب يعنى به

(١) لسان العرب ٣٧٧٧/٥ (قول) .

(٢) الجاثية / ٥ .

(٣) الذاريات / ٢٢ .

سقى النخل" (١) فالرزق فى الآيتين يقصد منه المطر، لأنه الذى ينزل من السماء ، والرزق مسبب عنه ، ويؤكد ذلك المعنى قول صاحب الكشاف " وسمى المطر رزقا؛ لأنه سبب الرزق " (٢).

وواضح أن صاحب اللسان يريد بكلمة "اتساع" فى كلامه السابق المجاز؛ لأننى وجدته فى بعض المواضع يقرن كلمة المجاز بكلمة اتساع، ويعطفها عليها، مثل قوله " وقد يطلق الثيب على المرأة البالغة ، وإن كانت بكرا مجازا واتساعا" (٣) وهو فى هذا سائر على نهج بعض الأقدمين ، وحاذ حذوهم ، فقد كان (سيبويه) - رحمه الله - يسمى المجاز توسعا (٤).

وقد شبه صاحب اللسان إطلاق الرزق على المطر بإطلاق التمر على الماء فى قوله (... كما يقال التمر فى قعر القليب) ومعلوم أن الذى فى قعر القليب هو الماء ، لا التمر ، وإنما سمي الماء قمرا ، لأن الماء سبب التمر ، وهو مسبب عنه، تسمية للسبب باسم المسبب.

ثالثتها: أنه قد يذكر أنه من الاكتفاء بالمسبب عن المسبب ، دون إشارة إلى أنه مجاز ، من ذلك ما أورده من إطلاق القراءة على

(١) لسان العرب ١٦٣٧/٣ .

(٢) الكشاف ٤٣٦/٣ وينظر الكشاف أيضا ٢٩/٤ .

(٣) لسان العرب ٥٢٥/١ (ثيب).

(٤) نقلا عن الحقيقة والمجاز فى القرآن الكريم ، للدكتور على محمد

إرادتها ، والقيام على إرادته فى بعض آى الذكر الحكيم ، فقد قال فى أحد المواضع: "... وضده - أى ضد إطلاق السبب على المسبب - قول الله تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ^(١) أى فإذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذى هو القراءة من السبب الذى هو الإرادة، ونظيره قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) ^(٢) أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة "... ^(٣).

وغنى عن البيان أن الاكتفاء بالمسبب فى الآيتين ، وهو قراءة القرآن ، والقيام إلى الصلاة عن السبب ، وهو إرادة القراءة والقيام - مجاز مرسل علاقته المسببية.

وجدير بالذكر أن المجاز فى الآيتين مشتهر شرود ، وقد أشار إليه من لا تحصى أسماؤهم من أهل العلم.
ومن قبيل هذا الضرب الذى ذكر أنه اكتفى فيه بالمسبب عن السبب قول الشاعر :

إذا تغنى الحمام الورق هيجنى ولو تعزيت عنها أم عمار

(١) النحل / ٩٨ .

(٢) المائدة / ٦ .

(٣) لسان العرب ٥ / ٤٠٥٩ (لقح) .

فقد قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيت " اکتفى فيه
بالمسبب الذى هو التهيج من السبب الذى هو التذكير ؛ لأنه لما قال
هيجنى دل على ذكرنى فنصبها به " (١).

فتخنى الحمام ذكر الشاعر صاحبه "أم عمار" فهاج شوقه
إليها ، فأطلق الشاعر الفعل "هيج" على ذكر ، وبعبارة أخرى أطلق
التهيج على التذكير ؛ لأن تهيج الشوق مسبب عن التذكير بها .

وقد عثرت على ما ذكره صاحب لسان العرب حول المجاز فى
البيت الذى تقدم ذكره موجودا بقضه وقضيضه فى كتاب الخصائص ،
لابن جنى ، فقد قال بعد أن ذكر البيت : " اکتفى فيه بالمسبب الذى
هو التهيج من السبب الذى هو التذكير ؛ لأنه لما قال هيجنى دل على
ذكرنى ، فنصبها به " (٢).

ولعل صاحب اللسان أخذ هذا الكلام من كتاب ابن جنى ، أو
أخذه عن أحد اللغويين الذين أخذوا كلام ابن جنى ، وسطروه فى بطون
كتيبهم .

وابتها: أنه كان أحيانا يشرح حقيقة المجاز، ويوضح كنهه
بما يدل على أنه من إطلاق المسبب على السبب.

(١) المصدر نفسه ٤٧٣٣/٦ (هيج) .

(٢) الخصائص ، لابن جنى ٤٢٥/٢ .

من ذلك النوع ما ذكره وهو يلقي الضوء على معنى الأثر فى قوله صلى الله عليه وسلم " من سره أن يبسط الله فى رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه " (١).

فقد قال بعد أن أورد الحديث: "الأثر الأجل، وسمى به ؛ لأنه يتبع العمر .

قال زهير :

والمرء ماعاش ممدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر
وأصله من أثر مشيه فى الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر ،
ولا يرى لأقدامه فى الأرض أثر ، ومنه قوله للذى مربيين يديه ، وهو
يصلى : قطع صلاتنا قطع الله عليه أثره (٢) دعا عليه بالزمانه ؛
لأنه إذا زمن انقطع مشيه فانقطع أثره " (٣).
فأثر الإنسان ، وحركته فى الحياة مسبب عن أجله ، فإذا مات
قامت قيامته ، وانقطع أثره ، فيكون فى (أثره) مجاز مرسل علاقته
المسببية.

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير
٢٣/١.

وينظر فتح البارى ٣٥٣/٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٤٢٢/٥.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣/١.

وسنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يقطع الصلاة ١٨٨/١.

(٣) لسان العرب ٢٥/١ (أثر).

وقد اقتصر صاحب اللسان تبعاً لابن الأثير^(١) على رأى واحد فى معنى (الأثر) فى دعاء النبى -صلى الله عليه وسلم- على ذلك الرجل ، لكن ابن الأثير صاحب المثل السائر ذكر رأين آخرين لمعنى قطع أثر هذا الرجل المشرك فقال: "ومن ذلك - أى من الاكتفاء بالمسبب عن السبب- ماورد فى الأدعية النبوية ، فإنه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره ، وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الأول أنه دعا عليه بالزمانة؛ لأنه إذا زمن لا يستطيع أن يمشى على الأرض، فينقطع حينئذ أثره الوجه الثانى أنه دعا عليه بألا يكون له نسل من بعده، ولا عقب ، الوجه الثالث أنه دعا عليه بألا يكون له أثر من الآثار مطلقاً ، وهو ألا يفعل فعلاً يبنى أثره من بعده كائناً ماكان من عقب أو بناء ، أو غراس ، أو غير ذلك"^(٢) ، وقد روى أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصابت ذلك الرجل فأقعد ، ولم يستطع بعدها حراكاً^(٣) .
ومن هذا الشكل الذى يدل شرحه له على أنه مجاز مرسل من قبيل علاقة المسببية ما ذكره صاحب لسان العرب فى مادة (قرمط) عندما قال: "القرمطيبة المتقارب الخطو ، وقرمط فى خطوة إذا قارب

(١) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣/١ .

(٢) المثل السائر ٨١/١-٨٢ .

(٣) ينظر سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ١٨٨/١ .

ما بين قدميه، وفي حديث معاوية أنه قال لعمر و قرمطت؟ قال لا، يريد أكبرت؟ لأن القرمطة فى الخطو من آثار الكبر" (١).

واضح أن القرمطة أى تقارب الخطو مسبب، سببه الكبر، وتقدم السن فىكون إطلاق القرمطة على الكبر مجازا مرسلًا علاقته المسببية.

وعلى شاكلة هذا النوع أيضا ما ذكره من إطلاق الموت على أسبابه فى قوله تعالى: "وأتية الموت من كل مكان وما هو بميت" (٢) فقد قال إن "معناه - والله أعلم - أسباب الموت، إذ لو جاء الموت نفسه، لمات به لامحالة" (٣).

واضح أن الموت فى الآية ليس مرادا به الموت الحقيقى، كما ينطق بذلك قوله تعالى (وما هو بميت) وإنما المراد به أسباب الموت، المؤدية إليه، فأطلق فى الآية الموت على أسبابه، إطلاقا للمسبب على سببه، وقد ألمح إلى ذلك صاحب الكشاف عندما قال فى تفسير الآية التى نحن بصدها "كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه، وأحاطت به من جميع الجهات تفضيحا لما يصيبه من الآلام" (٤).

(١) لسان العرب ٣٦٠٦/٥ (قرمط).

(٢) ابراهيم / ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ٤٢٩٥/٦ (موت).

(٤) الكشاف ٢٩٧/٢.

الآلية

هى كون الشئ واسطة فى إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر نحو قوله تعالى : " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين " (١) أى ذكرنا صادقا وثناء حسنا (٢).

وقد جاء تناول هذه العلاقة فى لسان العرب على صورتين:
إحدهما : أن يصرح بأن إطلاق اسم الآلة على أثرها مجاز ،
فقد جاء فى بعض المواضع "ودف الإناء قطر ، والودفة الشحمة ،
وودف الشحم ونحوه يدف سال ، وقطر ... والأداف الذكر لقطرانه،
وفى الحديث فى الأداف الدية (٣) قال ابن الأثير سماه بما يقطر منه
مجازا... (٤).

واضح من كلام لسان العرب الذى نقل ابن الأثير أن الذكر
سمى أدافا باسم ما يقطر منه على سبيل المجاز ، وغنى عن البيان أنه
أداة القطر، أو آتته، وهذا يندرج تحت ما عناه البلاغيون بعلاقة الآلية.

(١) الشعراء ٨٤/ .

(٢) الرسالة البيانية للصبيان / ١٩٧.

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير
٣١/١ .

وفى كتاب غريب الحديث ، لابن الجوزى ١٥/١ تعليق الدكتور عبد
المعطى أمين قلعجسى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ط أولى
١٤٠٥ هـ .

(٤) لسان العرب ٤٧٩٩/٦ (ودف).

وينظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣١/١ .

ثانيتها: أن يدل شرحه وتوضيحه لبعض أمثلة هذه العلاقة على حقيقتها دون تصريح بمجاز ، أو نحوه ، من ذلك ما ذكره حول أشهر مثال لهذه العلاقة ، وهو ما جاء في قوله تعالى : " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين " (١).

فقد أورده ثم أتبعه بقوله : "... معناه اجعل لى ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر " (٢) ، ففسر اللسان ، وهو آلة الكلام بالثناء الحسن ، والقول الطيب الجميل ، وفى ذلك إيماء إلى علاقة الآلية. وقد ساق صاحب اللسان من كلام الشعراء ، واللغويين ما يدل على أن لفظ اللسان مذكر ، وقد يؤنث إذا نقل من معنى العضو والجارحة إلى معنى الكلمة ، أو اللغة ، أو الرسالة فقال : " اللسان جارحة الكلام وقد يكنى بها (٣) عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى باهلة :

إنى أتتى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر
قال ابن برى اللسان هنا الرسالة والمقالة ومثله :
إنى أتتى لسان بنى عامر أحاديثها بعد قول نكسر
قال -أى ابن برى - وقد يذكر على معنى الكلام قال الخطيب :
ندمت على لسان فات منى فليت بأنه فى جوف عكم

(١) الشعراء / ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٥/٤٠٣٠ (لسن).

(٣) سيأتى إن شاء الله الحديث عن إطلاق الكناية على المجاز المرسل.

... وإن أردت باللسان اللغة أنشت يقال فلان يتكلم بلسان قومه قال اللحياني اللسان فى الكلام يذكر ويؤنث يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن أى ثناؤهم ... وقوله عز وجل (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) (١) أى بلغة قومه ... (٢).

فإطلاق اللسان على الرسالة، أو المقالة، أو اللغة من إطلاق الآلة على أثرها، وذلك مجاز مرسل علاقته الآلية.

والقول بأن اللسان فى قول أعشى باهلة (... أتتنى لسان لا أسر بها) يراد به المقالة، أو الرسالة هو الجدير بالقبول؛ لأنه يستبعد أن يراد به الكلمة الواحدة؛ لأنها لا تسر، ولا تحزن اللهم إلا أن يكون قد أريد بها الكلمات مجازا مرسلا علاقته الجزئية-كما سيأتى بيانه - ومثل ذلك ما ذكره صاحب لسان العرب فى مادة (شفة) فقد ذكر أن الشفة تطلق على الثناء الحسن فقال؛

" ... وما كلمته بهنت شفة أى بكلمة ، وفلان خفيف الشفة أى قليل السؤال للناس ، وله فى الناس شفة حسنة أى ثناء حسن وقال اللحياني إن شفة الناس عليك لحسنة أى ثناءهم عليك حسن وذكرهم لك ... " (٣).

فإطلاق الشفة وهى من أعضاء النطق على السؤال، أو الثناء الجميل مجاز مرسل علاقته الآلية، لأنها آلة من آلاته مثل اللسان.

(١) إبراهيم / ٤.

(٢) لسان العرب ٤٠٢٩/٥ ، ٤٠٣٠ (السن).

(٣) المصدر نفسه ٢٢٩٤ / ٣ (شفة).

وعلى ذلك فإنه من الممكن أن يدعو داع ربه محاكيا نبي الله إبراهيم عليه السلام - فيقول اللهم اجعل لى شفة حسنة بين الناس أى ثناء حسنا ، وذكرنا جميلا.

ومثل ذلك ما ذكره من إطلاق الفوهة ، وهى الفم على القالة ، والغيبة ، فقد قال فى أحد المواضع: " ... وفاه بالكلام يفوه نطق ، ولفظ به ... ورجل مفوه قادر على المنطق ، والكلام ، وكذلك فيّه ، ورجل فيّه جيد الكلام ، والمفوه المنطيق .. وإنه لذو فوهة أى شديد الكلام ، بسيط اللسان ... وقولهم إن رد الفوهة لشديد أى القالة ، وهو من فهت بالكلام ، ويقال هو يخاف فوهة الناس أى قالتهم ، والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم بعضا بالغيبة ، ويقال من ذا يطيق رد الفوهة ... " (١).

فإطلاق الفوهة أى الفم على القالة ، أو الغيبة ، أو بعبارة أخرى إطلاق الفم على الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية.

(١) لسان العرب ٣٤٩٤/٥ - ٣٤٩٥ (فوه).

المجاورة

هى كون الشئ مجاورا لشيء آخر فى مكانه ... (١) فإطلاق الشئ على ما يجاوره مجاز مرسل؛ لأن العلاقة فيه غير المشابهة. وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة فى أماكن من كتابه وجاء تناوله لها على عدة وجوه :

أحدها : أن يصرح بكلمة المجاورة نفسها، ويذكر أن إطلاق الشئ على ما يجاوره مجاز فقد قال فى مادة (ريد):

"... وريد الإبل يريد لها ريدا حبسها، والمريد محبسها... والمريد الموضوع الذى تحبس فيه الإبل وغيرها... ومريد البصرة من ذلك سمي؛ لأنهم كانوا يحبسون فيه الإبل، وقول الفرزدق:

عشية سال المريدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم

فإنه سماه مجازا لما يتصل به من مجاوره، ثم إنه مع ذلك أكده، وإن كان مجازا، وقد يجوز أن يكون سمي كل واحد من جانبيه مريدا... وقال الجوهري فى بيت الفرزدق إنه عنى به سكة المريد بالبصرة، والسكة التى تليها من ناحية بنى تميم..." (٢).

فمريد البصرة واحد، وقد سمي الفرزدق المكان الذى يجاوره مريدا مجازا فصارا مردين، أو أنه سمي كل واحد من جانبيه مريدا لمجاورتها له، أو سمي سكتى المريد مردين لكونهما مجاورتين له أيضا.

(١) ينظر الرسالة البيانية، للصبان/٢٤١ مع حاشية الإتهابى عليها.

(٢) لسان العرب ١٥٥٥/٢، ١٥٥٦ (ريد).

وقد وجدت بعض كلام صاحب لسان العرب حول بيت الفرزدق مأخوذاً عن ابن جنى فقد ذكر أن العرب وكّدت المجاز، كما وكّدت الحقيقة "وذلك قول الفرزدق:

عشبة سال المريدان كلاهما سحابة موت بالسيوف الصوارم^(١)

وإنما هو مرید واحد فثناه مجازاً؛ لما يتصل به من مجاوره، ثم إنه مع ذلك وكده وإن كان مجازاً، وقد يجوز أن يكون سمي كل واحد من جانبيه مریداً^(٢).

وقد غير صاحب لسان العرب قول ابن جنى (فثناه مجازاً...) إلى (سماه مجازاً) وتعبير ابن جنى هو الملائم لسياق الكلام بعده، ولعل ذلك سهو، أو خطأ من نساخ لسان العرب.

ثانيها: أن يذكر كلمة المجاز مطلقة على ما يعتبر من قبيل المجاورة دون أن يصرح بكلمة المجاورة نفسها فقد ذكر أن كلمة (ثلة) بفتح الشاء تطلق على جماعة الغنم، وتطلق على الصوف مجازاً فقال: "الثلة جماعة الغنم، وأصوافها ابن سيده الثلة جماعة الغنم قليلة كانت، أو كثيرة... وفي حديث معاوية لم تكن أمة براعية ثلة

(١) في رواية ابن جنى للبيت كلمة (سحابة) بدل (عجاجة) وقد ذكر محقق كتاب (الخصائص) أن كلمة (عجاجة) موجودة بإحدى نسخ الكتاب، ورواية لسان العرب هي الموافقة لما في ديوان الفرزدق ج٢ ص ٣١٩ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ.

(٢) الخصائص، لابن جنى ٤٥٣/٢.

... عن ابن دريد يقال كساء جيد الثلة أى الصوف، وحبل ثلة أى صوف... وفى حديث الحسن إذا كان لليتيم ماشية، فللوصى أن يصيب من ثلتها، ورسلها، أى من صوفها، ولبنها قال ابن الأثير سمي الصوف بالثلة مجازاً^(١).

وقد اكتفى صاحب اللسان بإيراد كلمة (مجاز) دون أن يصرح، أو يلمح إلى نوع العلاقة فيه، ويمكن لمن ينعم النظر فيه أن يعتبر العلاقة فيه السببية؛ لأن الغنم سبب فى الصوف، أو المجاورة؛ لأنه مجاور لها، لصيق بها، ويقوى هذا الاتجاه الأخير، ويعضده أن الزمخشري قد جعل تسمية الصوف ثلة مساوية لتسمية المطر سماء حين قال: "الثلة جماعة الغنم، والثلة جماعة الناس قال :

آليت بالله ريسى لا أسألهم حتى يسالم رب الثلة الذيب

وينو فلان مثلون أصحاب غنم، وكساء جيد الثلة أى الصوف، سمي باسم ما هو منه كتسمية المطر بالسماء^(٢) وعلى ذلك يكون إطلاق الثلة على الصوف مجازاً مرسلًا علاقته المجاورة.

ثالثها : أن ينظر اللفظ الذى جاء فيه المجاز بلفظ آخر اشتهرت مجازيته على سبيل علاقة المجاورة، فقد ذكر أن كلمة (السفرة) فى الأصل اسم للطعام الذى يتخذه المسافر، وقد نقل اسمها

(١) لسان العرب ١/٥٠١ (ثلل)

(٢) أساس البلاغة (ثلل)

إلى الجلد الذى يحمل فيه هذا الطعام كما سميت المزادة راوية يقول
فى هذا الشأن: "والسفرة (بالضم) طعام يتخذ للمسافر، وبه سميت
سفرة الجلد.

وفى حديث زيد بن حارثة قال ذبحنا شاة فجعلناها سفرتنا، أو
فى سفرتنا^(١) السفرة طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمل فى جلد
مستدير، فنقل اسم الطعام إليه، وسمى به كما سميت المزادة راوية،
وغير ذلك من الأسماء المنقولة، وفى حديث عائشة صنعنا لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ولأبى بكر سفرة فى جراب^(٢) أى طعاما
لما هاجر هو وأبو بكر - رضى الله عنه-^(٣).

فكلمة السفرة نقلت من معناها الأصلي، وهو الطعام الذى
يتخذه المسافر إلى الجلد الذى يحمل فيه ذلك الطعام؛ لعلاقة
المجاورة، كما سميت المزادة راوية.

فنجده قد نظر إطلاق السفرة على الجلد بإطلاق الراوية على
المزادة "والراوية البعير الذى يسقى عليه الماء، فسمى الوعاء الذى
يحملة باسمه"^(٤) ولعل كلمة السفرة بمعنى الخوان، أو المائدة التى
يستعملها الناس فى كلامهم مأخوذة من هذا، فهم يقولون أكلنا على

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) لسان العرب ٣/٢٤ - ٢٠٢٥ (سفر)

والنهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٤) الموازنة ، للآمدى ٢٤/٢٣.

السفرة أى الخوان؛ لأن الطعام يوضع فوقه، وإن كان صاحب اللسان قد نقل عن بعضهم أن "السفرة التى يؤكل عليها سميت سفرة؛ لأنها تبسط إذا أكل عليها" (١)

ومن هذا النوع الذى نظّر ما فيه مجاز مرسل بإطلاق الراوية على المزايدة ما ذكره فى أحد المواضع، وبين فيه أن (الحقو) يطلق على الإزار؛ لأنه يشد على الحقو، وهو الخصر (٢) فقد قال: "والحقو، والحقو، والحقوة، والحقاء كله الإزار، سمي بما يلاث عليه... وروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه أعطى النساء اللاتى غسلن ابنته حين ماتت حقوة، وقال أشعريها إياه (٣) قال ابن برى الأصل فى الحقو معقد الإزار، ثم سمي الإزار حقوا، لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزايدة راوية؛ لأنها على الراوية، وهو الجمل، وفى حديث عمر رضى الله عنه لا تزهدن فى جفاء الحقو أى لا تزهدن فى تغليظ الإزار وثخانتته؛ ليكون أستر لكن" (٤).

وقد سمي الإزار حقوا، باسم الموضع الذى يشد عليه من جسم الإنسان، لمجاورته له، على سبيل المجاز المرسل كما تسمى المزايدة راوية.

(١) لسان العرب ٢٠٢٥/٣ (سفر).

(٢) المصدر نفسه ٩٤٨/٢ (حقا).

(٣) وينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٦٠٠/٢.

وفتح البارى ١٥٠/٣ وما بعدها.

(٤) لسان العرب ٩٤٨/٢ (حقا).

ومما هو بسبيل من ذلك أيضا ما ذكره صاحب اللسان من أن الإزار يسمى حجة باسم الموضع الذى يشد عليه للمجاورة أيضا، فقد أورد فى أحد المواضع أن "أصل الحجة موضع شد الإزار قال - أبى الأثير - ثم قيل للإزار حجة للمجاورة"^(١).

ويقال تحاجز القوم أخذ بعضهم بحجز بعض^(٢) وقد عد الزمخشري من المجاز قولهم وهذا كلام أخذ بعضه بحجة بعض أى متناظم منسق^(٣) وواضح أن إطلاق الحجة على الإزار نفسه مجاز مرسل علاقته المجاورة، ويؤيد ذلك ما نقله صاحب لسان العرب من أن عائشة رضى الله عنها قال : "لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجز مناطقهن فشققنها فاتخذنها خمرا"^(٤) ثم قال صاحب اللسان "أرادت بالحجز المآزر".

فنجدها - رضى الله عنها قد سمت المآزر حجزا باسم المواضع التى عقدت عليها، لمجاورتها لها، وغنى عن البيان أن الحجز أى خواصر الناس لا تشق، ولا تتخذ خمرا تضرب على جيوب النساء. وقد نظر صاحب لسان العرب بالمزادة والراوية أيضا حين أطلق العسب، وهو طرق الفحل وضرايه على كراء ذلك الضراب فقال : "وفى حديث أبى معاذ كنت رجلا تياسا فقال لى البراء بن عازب لا يحل

(١) المصدر نفسه ٧٨٦/٢ (حجز).

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) أساس البلاغة (حجز).

(٤) لسان العرب ٧٨٦/٢ (حجز).

لك عسب الفحل، وقال أبو عبيد معنى العسب فى الحديث الكراء والأصل فيه الضراب، والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه أو من سببه كما قالوا للمزادة راوية، وإنما الراوية البعير الذى يستقى عليه" (١).

فالعسب فى الأصل هو الضراب، ثم أطلق على أجرته وكرائه؛ لأن أخذ الكراء مصاحب للضراب، قريب منه، مقترن به. وقوله (والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه...) صريح فى علاقة المجاورة، فالمعينة المذكورة تنبئ بالاقتران، والمصاحبة.

ولذلك كان إطلاق العسب على كرائه مساويا ومناظرا لإطلاق الراوية على المزادة.

وقد بدا لى من النظرة فى هذا المثال أن المجاورة ليست مقصورة على المجاورة المكانية، بل يمكن أن تكون زمانية أيضا، فالكراء لى مجاورا للضراب حيثما كان، وأنى وجد، بل يمكن أن يحصل فى مكان، وتتخذ أجرته فى مكان آخر فى زمن متقارب، اللهم إلا أن تكون عادة العرب قد جرت على أخذ الكراء فى موضع الضراب دون تأخير أو إبطاء.

(١) لسان العرب ٢٩٣٦/٤ (عسب).

وينظر فتح البارى ٥٣٩/٤

وابتعاها : أن يذكر أن الشيء قد يسمى باسم الشيء لقربه منه، ويعنى بهذا القرب المجاورة كما تشير إلى ذلك الأمثلة التي ذكرها، فقد جعل إطلاق اسم الظعينة على الجمل الذي يظعن عليه، وعلى اليهودج على سبيل الحقيقة، ثم جعل من المجاز إطلاق الظعينة على المرأة في اليهودج لمجاورتها له عندما قال : "والظعينة الجمل يظعن عليه، والظعينة اليهودج تكون فيه المرأة، وقيل هو اليهودج كانت فيه المرأة، أو لم تكن، والظعينة المرأة في اليهودج سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه.." (١) فيكون إطلاق الظعينة على المرأة مجازاً مرسلًا علاقته المجاورة؛ لأنها تكون في الظعينة أي اليهودج، أو لأنها تتركب الجمل الذي هو ظعينة (٢).

ويبدو أن وجهة اللغويين لم تتفق حول هذا المجاز، فقد أورد صاحب لسان العرب ما يفيد عكس ما ذكره أنفاً، فنقل عن ابن الإنباري أن "الأصل في الظعينة المرأة تكون في هودجها، ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة... وفي حديث حنين فإذا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم، وشاتهم، ونعمهم الظعن النساء واحداً ظعينة..." (٣).

ويكاد إجماع اللغويين الذي أورد صاحب اللسان كلامهم في هذا الموضع - ينعقد على أن إطلاق الظعينة على المرأة مجاز؛ لأنها تتركب الجمل، أو تكون في اليهودج وعلى ذلك يكون قول الشيخ

(١) لسان العرب ٢٧٤٨/٤ (ظعن).

(٢) ينظر المصدر نفسه والموضع.

(٣) المصدر نفسه والموضع.

عبد القاهر الجرجاني: "وأن الظعينة أصلها المرأة في اليهودج، ثم صار البعير واليهودج ظعينة"^(١) مستندا إلى قول فردى هو قول ابن الإنبارى الذى أورده صاحب لسان العرب.

- بين المزايدة والراوية -

رأينا فيما سلف من حديث علاقة المجاورة ترداد كلمتى الراوية والمزايدة فى كلام أهل العلم، وقياس بعض أمثلة هذه العلاقة عليهما، واعتبارهما أصلا يقاس عليه فى هذا الصدد، وقد وجدت أن من النافع المفيد أن ألقى عليهما بعض الضوء، ليكون معناهما بينا واضحا، لا لبس فيه، ولا غموض، ولبيان أمر المجاز فيهما، أما المزايدة، فقد ذكر صاحب لسان العرب فى أحد المواضع أنها الراوية، ونقل عن بعض اللغويين أنها " لا تكون إلا من جلدتين تفأم بجلد ثالث لتمتع ... والجمع المزداد والمزايد"^(٢).

فالمزايدة هى الوعاء أو الظرف الذى يحمل فيه الماء^(٣) كالقربة وغيرها، ولم أجد أحدا من العلماء قد خالف فى ذلك - على قدر علمى - إلا سعد الدين التفتازانى، فقد فسر المزايدة بالمزود الذى

(١) أسرار البلاغة / ٣٢١.

(٢) لسان العرب ٣/ ١٨٩٧ (زيد)

(٣) ينظر - مثلا - النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/

يجعل فيه الزاد أى طعام السفر^(١) وهذا تفسير غير صحيح^(٢) أما الراوية، فقد رأينا فيما سبق أن صاحب لسان العرب قد ذكر في عدة مواضع أنها البعير الذى يستقى عليه^(٣) وسميت المزايدة راوية لمجاورتها للبعير الذى يحملها، وعلى ذلك فالراوية أصل فى البعير مجاز فى المزايدة.

ومع أن صاحب اللسان كرر هذا المعنى عدة مرات إلا أنه نقل فى بعض المواضع عن ابن سيده أن الراوية أصل فى المزايدة مجاز فى البعير فقال: "... ابن سيده والراوية المزايدة فيها الماء، ويسمى البعير راوية على تسمية الشئ باسم غيره لقربه منه ..." ^(٤).

وقد سار الإمام العلوى على القول بأن الراوية أصل فى المزايدة مجاز فى البعير، فجعل المجاورة كنقل اسم الراوية من ظرف الماء إلى ما يحمل عليه من الجمل وغيره^(٥).

ويبدو أن هذا قول مغمور عند العلماء، ولذلك أشار إليه ابن الأثير بصيغة التضعيف (قبيل) فقد ذكر أن "الروايا من الإبل الحوامل للماء وأحدثها راوية... ومنه سميت المزايدة راوية، وقيل بالعكس"^(٦)

(١) المطول/٣٥٥، والمختصر ٣٤/٤ شروح التلخيص.

(٢) حاشية السيد الشريف على المطول / ٣٥٥ علي هامش المطول.

(٣) لسان العرب ٢٠٢٥/٣ (سفر).

(٤) ٢٩٣٦/٤ (عسب) ٩٤٨/٢ (حقا)

(٤) المصدر نفسه ١٧٨٤/٣ (روى).

(٥) الطراز ٧٢/١.

(٦) النهاية فى غرب الحديث والأثر، لابن الأثير / ٢٧٩/٢.

وقد أورد صاحب لسان العرب شواهد على استعمال العرب
الراوية في البعير والمزادة، فمن استعمالها بمعنى البعير قول أبي
النجم :

تمشى من الردة مشى الحفل مشى الروايا بالمزاد الأثقل
ومن استعمالها بمعنى المزادة قول عمرو بن ملقظ :

ذاك سنان محلب نصره كالجمل الأطف بالراوية
والذي أميل إليه، وهو ما عليه الكثير من العلماء أن الراوية
أصل في البعير مجاز في المزادة، والذي يرجح ذلك أن العرب
استعارت الراوية لمن يحمل الأثقال من الرجال مثل قول الشاعر :

ولنا روايا يحملون لنا أثقالنا إذ يكره الحمل

يعنى به الرجال الذين يحملون لهم الديات شبه السيد الذي
تحمل الديات عن الحى بالبعير الراوية^(١).

فاستعارة الراوية بمعنى البعير للرجل الذي تحمل الديات يدل
على أن كلمة الراوية متأصلة في تلك الدلالة، مستقرة في عرفهم
اللغوي، حتى ساغ لهم استعارتها لمن يحمل الأثقال من الناس،
ومعلوم أن الإبل كانت تحمل الأثقال التي لا يستطيع حيوان آخر
حملها، ومنها المزايد التي تمتلئ بالماء خصوصا عند اجتماع الجـم

(١) ينظر لسان العرب ١٧٨٤/٣ - ١٧٨٥ (روى)

الففير من الناس كما فى أيام الحج، ولذلك كان الجمل جديرا بأن يسمى راوية.

وقد سار الشيخ عبد القاهر الجرجانى على هذا القول الشهير، فذكر أنهم سمو المزايدة راوية، وهى اسم البعير الذى يحملها فى الأصل^(١) وإذا كان العرب قد سمو المزايدة راوية باسم البعير حاملها، لمجاورتها له، فإنهم قد فعلوا عكس ذلك عندما سمو البعير الحامل لمتاع البيت الرديء حفضا باسم ذلك المتاع الذى يحمله، وقد أوما إلى ذلك صاحب لسان العرب دون أن يذكر لفظ المجاز، أو المجاورة، أو شيئا من هذا القبيل، فقد قال فى بعض المواضع: "... والحفض البيت، وقيل متاع البيت إذا هينى للحمل قال ابن الأعرابى الحفض قماش البيت، وردى المتاع، ورذاله والذى يحمل ذلك عليه من الإبل حفص، ولا يكاد يكون ذلك إلا رذال الإبل، ومنه سمي البعير الذى يحمله حفضا به، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ونحن إذا عماد الحى خرت على الأحفاض نمنع ما يلينا

قال الأزهري وهى ههنا الإبل، وإنما هى ما عليها من الأحمال...^(٢) فسمى البعير حفضا، والإبل أحفاضا باسم المتاع المحمول، تسمية للشئ باسم ما يجاوره على سبيل المجاز المرسل، وقول الأزهري : (وإنما هى ما عليها من الأحمال) يعنى أن الأحفاض هى الأحمال التى تحملها الإبل باعتبار الأصل، ثم نقلت إلى الإبل

(١) أسرار البلاغة / ٣١٧-٣١٨.

(٢) لسان العرب ٢/ ٩٢٨ (حفص).

نفسها مجازا، وهذا موافق لما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أنهم سموا "البحير حفضا وهو اسم لمتاع البيت الذى يحمل عليه"^(١). وقد ذكر صاحب اللسان عقب كلامه المتقدم أن البيت له روايتان (على الأحفاض) و (عن الأحفاض) فمن قال (عن الأحفاض) عنى الإبل التى تحمل المتاع، ومن قال (على الأحفاض) عنى الأمتعة^(٢).

وإذا نظرنا إلى هاتين الروايتين نجد أن الذى يتلاءم مع السياق، والحديث عن المجاورة رواية (عن الأحفاض).

وكان ينبغى أن يورد صاحب لسان العرب البيت بهذه الرواية حتى يكون كلامه متناسبا ومتسقا مع سياقه؛ لأنه ساق البيت شاهدا على أن البعير سمي حفضا باسم ما يحمله من الأمتعة.

وقد رجعت إلى معلقة عمرو بن كلثوم فوجدت البيت مذكورا فيها برواية (عن الأحفاض)^(٣)

وقال شارح المعلقة: "من روى البيت (على الأحفاض) أراد بها الأمتعة، ومن روى (عن الأحفاض) أراد بها الإبل."^(٤) وهو فى ذلك متفق مع ما ذكره صاحب اللسان، وقد زاد هذا الشارح معنى البيت توضيحا فقال :

(١) أسرار البلاغة / ٣١٨.

(٢) لسان العرب ٩٢٨/٢ (بتصرف).

(٣) شرح المعلقات السبع، للزوزنى / ١٤٩.

(٤) المرجع نفسه والموضع.

"يقول - أى الشاعر - ونحن إذا قوضت الخيام فخرت على
أمتعتها تمنع، ونحمى من يقرب منا من جيراننا، أو نحن إذا سقطت
الخيام عن الإبل للإسراع فى الهرب تمنع، ونحمى جيراننا إذا هرب
غيرنا حمينا غيرنا" (١).

(١) شرح المعلقات السبع، للزوزنى / ١٤٩.

اعتبار ما كان

وهو تسمية الشيء باسمه الذي كان عليه في الزمان الماضي^(١) كما في قوله تعالى: "إنه من يأت ربه مجرماً"^(٢) سماه الله مجرماً يوم القيامة باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجمام^(٣) وقد تمثل تناول لسان العرب لهذه العلاقة في صورتين: إحداهما: أن يصرح بأن ما جاء من سبيلها مجاز، فقد جاء فيه وهو يعالج قوله تعالى "وأتوا اليتامى أموالهم"^(٤) "... أي أعطوهم أموالهم إذا أنستم منهم رشداً، وسموا يتامى بعد أن أونس منهم الرشد بالاسم الأول الذي كان لهم قبل إيناسه..."^(٥) وقبل أن أمضى مع كلامه حول المجاز في هذه الآية أود أن أنبه إلى أنه قد يتبادر إلى الذهن من قول لسان العرب (وسموا يتامى بعد أن أونس منهم الرشد بالاسم الأول) - أن إيناس الرشد يعتد به في دفع أموال اليتامى إليهم، ولو كان ذلك قبل البلوغ، والواقع أن هذا الإيناس لا يعتد به إلا إذا كان بعد البلوغ كما هو ظاهر من قوله تعالى: "وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم"^(٦).

(١) ينظر مختصر السعد ٤٠/٤ شروح التلخيص.

(٢) طه ٧٤/.

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشى ٢٨٠/٢.

(٤) النساء ٢/.

(٥) لسان العرب ٤٩٤٩/٦ (يتم).

(٦) النساء ٦/.

ولعله من أجل ذلك قرر الإمام القرطبي "أن دفع المال - إلى اليتامى - يكون بشرطين إيناس الرشد والبلوغ، فإن وجد أحدهما دون الآخر، لم يجز تسليم المال كذلك نص الآية" (١).

ويتابع لسان العرب حديثه حول (اليتامى) في الآية المعهودة قائلاً: "... واليتم في الناس فقد الصبى أباه قبل البلوغ، وفي الدواب فقد الأم، وأصل اليتم الانفراد... والأنثى يتيمة، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتم حقيقة، وقد يطلق عليهما مجازاً بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم وهو كبير يتيم أبى طالب؛ لأنه رباه بعد موت أبيه..." (٢).

فإطلاق اليتم على الكبير البالغ مجازاً؛ لأن حقيقته أن يطلق على من دون البلوغ، وقد جاء في لسان العرب عقب الكلام السابق أن اسم اليتم يطلق على المرأة البالغة مجازاً فقال: "وفي الحديث تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها" (٣) أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليتم فدعيت به، وهي بالغة مجازاً" (٤).

فتصریح صاحب لسان العرب، وهو إمام من أئمة اللغة وينقل عن أئمتها بأن إطلاق اليتامى على البالغين، واليتيمة على البالغة

(١) تفسير القرطبي ١٦٠٨ ط الشعب.

(٢) لسان العرب ٤٩٤٩/٦ (يتم).

(٣) الحديث في كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٩٢/٥.

(٤) لسان العرب ٤٩٤٩/٦ (يتم).

مجاز يدحض القول الذي حكاه صاحب الرسالة البيانية ومحشيه ومؤداه أن إطلاق اليتامى على البالغين حقيقة لأنه "وارد على أصل اللغة فإن اليتيم مشتق من اليتيم وهو الانفراد، فالاشتقاق يقتضى جواز إطلاقه على كل من مات أبوه صغيرا كان أو كبيرا؛ لتحقق الانفراد عن الأب فيهما"^(١).

وقد أشار إلى هذا القول بعض البلاغيين، واعتبره مخالفا لما عليه الجمهور^(٢) وأوما إليه الإمام الزركشى فى برهانه أيضا^(٣).

ثانيتها : أنه كان أحيانا يذكر أن تسمية الشئ باسمه الذي كان عليه فى الماضى اتساع، فقد قال : "... السَّبْتُ بالكسر كل جلد مدبوغ... وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يمشى بين القبور فى نعليه فقال : يا صاحب السبتين اخلع سبتيك^(٤)... قال الأزهرى كأنها سميت سبتية؛ لأن شعرها قد سبت عنها أى حلق وأزيل بعلاج من الدباغ معلوم عند دباغيها... وفى تسمية النعل

(١) حاشية الإنابى على الرسالة البيانية / ٢٢٧ وينظر الرسالة البيانية فى الصفحة نفسها.

(٢) ينظر مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح، لابن يعقوب المغربى ٤٠/٤ وحاشية الدسوقى ٤٠/٤ شروح التلخيص.

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٢/٢٨٠.

(٤) الحديث فى كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/٣٣٠.

المتخذة من السبت سبتا اتساع مثل قولهم فلان يلبس الصوف والقطن والإبريسم أى الثياب المتخذة منها" (١). فقد استعمل كلمة اتساع مكان كلمة مجاز، وقد أشرت إلى ذلك في موضع سابق، وسيأتى لهذا الأمر زيادة بيان - إن شاء الله - فى أثناء الكلام عن علاقة اعتبار ما يتول إليه.

ونجد وراء أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بخلع سبتيه إجلالا لحرمة المقابر، وتقديرا لمنزلة الموتى، لأنهم يتألمون كما يتألم الحى فلا ينبغى إيذاؤهم بقرع النعال حول قبورهم، أو لأنها كانت وسخة، ولذلك قال ابن الأثير فى كلامه الذى أخذ عنه صاحب لسان العرب: " وإنما أمره بالخلع احتراماً للمقابر؛ لأنه كان يمشى بينها، وقيل لأنها كان بها قذر، أو لاختياله فى مشيه" (٢).

وإذا ما عدنا إلى المجاز، أو الاتساع كما جاء فى لسان العرب فى هذا الموضع، فإننا نجد أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى النعلين سبتين باعتبار ما كانتا عليه فى الماضى، وجعل ذلك نظيرا لقولهم فلان يلبس الصوف أى الثياب التى اتخذت من الصوف؛ فإنها سميت صوفا باعتبار ما كانت عليه فى الماضى، وقولهم فلان يلبس القطن أى الثياب المتخذة من القطن وسميت قطنا باعتبار ما كانت عليه فى الماضى، وقولهم فلان يلبس الإبريسم أى الثياب المتخذة منه سميت باعتبار ما كانت عليه فى الماضى. وأمثال

(١) لسان العرب ١٩١١/٣ (سبت).

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٣٠/٢.

هذه الاستعمالات التي أوردها لسان العرب لا تزال تتردد على
ألسنة الناس في حياتهم اليومية فنراهم يقولون "أكلنا قمحا، وشربنا
بنا، ونحو ذلك" كما يكون التعبير فيه باعتبار ما كان" (١)
ومعلوم أنهم لا يقتاتون حبات القمح كما هي، ولا يشربون
مسحوق البن، ولا يلبسون القطن كما أخذ من أشجاره دون غزل أو
نسج، فقد سمو الخبز قمحا باعتبار ما كان، وأطلقوا على شراب
القهوة بنا أيضا باعتبار ما كان.

(١) المنهاج الواضح، للأستاذ حامد عوني / ١١١.

اعتبار ما يتول إليه

وهو تسمية الشيء باسم ما يتول إليه في المستقبل نحو قوله تعالى: (...إني أراني أعصر خمرا) ^(١) أي أعصر عنبا يتول إلى أن يصير خمرا بعد العصر ^(٢) وقد جاء تناول هذه العلاقة في لسان العرب على وجهين :

أحدهما: أن يصرح بأن تسمية الشيء باعتبار ما يتول إليه مجاز، فقد أورد كلاما مؤداه أن العنب أو العصير يسمى خمرا؛ لأنه سيكون خمرا في المستقبل، فقال حول إطلاق الخمر على العصير: "والخمر ما خمر العقل، وهو المسكر من الشراب... وفي حديث سمرة أنه باع خمرا فقال عمر قاتل الله سمرة ^(٣) قال الخطابي إنما باع عصيرا ممن يتخذه خمرا فسماه باسم ما يتول إليه مجازا كما قال عز وجل (إني أراني أعصر خمرا) ^(٤).

(١) يوسف / ٣٦.

(٢) ينظر المختصر للسعد ٤/٤٠، ٤١ ومواهب الفتاح.. لابن يعقوب المغربي شرح التلخيص ٤/٤٠.

(٣) ينظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ٩٢/٤ ط الشعب ومسند الإمام أحمد ١/٩٦ مكتبة التراث الإسلامي شرح أحمد محمد شاكر.

(٤) يوسف / ٣٦.

فلهذا نقم عمر رضى الله عنه عليه ؛ لأنه مكروه، وأما أن يكون سمرة باع خمرا، فلا لأنه لا يجهل تحريمه مع اشتهاؤه" (١). فالذى باعه (سمرة) عصير، وقد سمي خمرا باعتبار أنه يشول فى المستقبل إلى خمرا، وهذا مجاز، لأنه استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له، وغنى عن البيان أنه مجاز مرسل؛ لأن علاقته غير المشابهة، ولو كان (سمرة) قد باع خمرا بعينها، لعاقبه عمر - رضى الله عنه - لأن الذى حرم شربها حرم بيعها، رور أن رجلا أهلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت أن الله قد حرمها؟ قال لا فسار إنسانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم ساررتة؟ فقال أمرته ببيعها فقال إن الذى حرم شربها حرم بيعها قال ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها (٢).

وواضح أن تنظيم العصير الذى سيكون فى المستقبل خمرا بما فى آية (يوسف) - كما جاء فى كلام الخطابى السالف الذكر - ليس فى كل شئ؛ لأن خمرا فى الآية يراد به العنب "بدليل ذكر العصر؛ لأن الخمر عصير، والعصير لا يعصر" (٣) أما العصير، فقد تجاوز مرحلة كونه عتبا، فهو سائل مهيا لأن يكون خمرا إذا اعتق، وخمرت عليه دنانه.

(١) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمرا).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٨/٤-٨٩.

(٣) المنهاج الواضح، للأستاذ حامد عونى ١١٢.

وقد أورد ابن منظور في لسان العرب ما يفيد أن الخمر معناها العنب وعلى ذلك تكون كلمة (خمرا) في الآية حقيقة، وليست مجازا، فقد قال: "... والعرب تسمى العنب خمرا قال - أي ابن سيده - وأظن ذلك لكونها منه حكاها أبو حنيفة قال وهي لغة يمانية وقال - أي أبو حنيفة - في قوله تعالى (إني أراني أعصر خمرا) (١) إن الخمر هنا العنب. قال - أي ابن سيده - وأراه سماها باسم ما في الإمكان أن تتول إليه، فكأنه قال إني أراني أعصر عنبا قال الراعي: ينازعنى بها ندمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا يريد الخمر" (٢).

ويبدو أن اعتبار (خمرا) في الآية حقيقة - كما قال بعضهم - رأى مغمور، لا يبالي به، ولا يلتفت إليه، ولذلك ذكره صاحب الرسالة البيانية بصيغة (قيل) التي تنبئ عن الضعف والتمريض (٣) ولعله من أجل ذلك لم يذكره شراح التلخيص (٤) أو يحوموا حوله. ويبدو لى أن تنظير ابن سيده (خمرا) في الآية بالعنب في قول الراعي المتقدم - ليس سديدا؛ لأن العنب في البيت أطلق على الخمر

(١) يوسف / ٣٦.

(٢) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمرا).

(٣) ينظر الرسالة البيانية، للصبان / ٢٢٨.

(٤) ينظر شروح التلخيص ٤٠/٤، ٤١.

وهي موضوعة على مائدة الطعام، وقد يؤيد هذا الفهم قول صاحب
لسان العرب في موضع آخر:
"قال الراعي في العنب التي هي الخمر :

ونازعنى بها إخوان صدق شواء الطير والعنب الحقينا"^(١)

وإذا كان العنب في بيت الراعي يراد به الخمر - كما ذكر ابن
منظور- فإنه مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان أى الخمر التي كانت
عنباً في الماضي، أما في الآية فإن كلمة (خمرا) أطلقت على العنب
الذي يتناوله العصر، ليكون خمرا في المستقبل، فهو مجاز مرسل
علاقته اعتبار ما يتول إليه.

ومما يجدر ذكره هنا أنني لاحظت أن صاحب لسان العرب ذكر بيت
الراعي بروايتين جاء في إحداها (ينازعنى) وفي الثانية (نازعنى)
وفي إحداها (ندمان) وفي الثانية (إخوان).
وقد رجعت إلى ديوان الشاعر^(٢) فوجدت البيت قد جاء فيه
برواية قد لفتت بين الروايتين اللتين ذكرتا في لسان العرب وهي :

ونازعنى بها ندمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا

والمهم أن العنب في البيت مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان،
وليس مناظرا للمجاز في آية (يوسف) كما بينت.

(١) لسان العرب ٣١١٩/٤ (عنب).

(٢) ديوان الراعي النميري / ٢٨٨، جمعه وحققه راينهت فايرت فايرت بيروت

ومن هذا النوع الذى صرح فيه بأن تسمية الشيء باعتبار ما
يشول إليه مجاز ما ذكره في مادة (ثيب) من أن الثيب تطلق على
البكر مجازاً؛ لأنها ستكون كذلك فيما يستقبل من عمرها فقد قال :
"الثيب من النساء التى تزوجت وفارقت زوجها بأى وجه كان
بعد أن كان قد مسها... وقد يطلق الثيب على المرأة البالغة وإن كانت
بكراً مجازاً، واتساعاً"^(١)

فإطلاق الثيب على المرأة البالغة قبل أن تتزوج مجاز، وربما
كان هذا الإطلاق تفاقلاً بأنها ستتزوج وتصير ثيباً فى المستقبل.
ونلاحظ هنا أنه سمي هذا الإطلاق (مجازاً واتساعاً) وسمى
إطلاق الخمر على العصير والعنب - كما سبق - مجاز لا غير، وفى
هذا ما يدل على أن الاتساع يستعمل استعمال المجاز، ويؤدى مؤداه
فعطفه عليه يكون عطف تفسير، وقد ذكرت ذلك من قبل.

ثانيهما: أنه قاس بعض أمثلة هذه العلاقة على بعض وصرح
بأنها على وجه تصور الحال المتوقعة، فقد ذكر فى مادة (عفر) عدة
أمثلة لهذه العلاقة أتبع بعضها بعضاً، فبعد أن ذكر أن "العَفْرُ والعَفْرُ
ظاهر التراب والجمع أعفار..."^(٢) أورد قول أبى ذؤيب:

(١) لسان العرب ٥٢٥/١ (ثيب)

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

ألفيت أغلب من أسد المسدّ حديد

د الناب أخذته عفر فتطرح (١)

ونقل عن بعضهم أن كلمة (عفر) فى البيت معناها جذب، فيكون قد سمي الجذب عفرا؛ لأنه يثول إليه بعد أن يطرح على الأرض فقال: " .. وقال أبو نصر عفر جذب قال ابن جنى قول أبى نصر هو المعمول به، وذلك أن الفاء مرتبة، وإنما يكون التعفير فى التراب بعد الطرح لا قبله، فالعفر إذا ههنا هو الجذب، فإن قلت فكيف جاز أن يسمى الجذب عفرا؟ قيل جاز ذلك لتصور معنى التعفير بعد الجذب وأنه إنما يصير إلى العفر الذى هو التراب بعد أن يجذبه ويساوره.. " (٢)

وقد أورد بعد المثال السابق مثالا آخر سميت فيه جلود الحيوانات وهى لا تزال حية أفيقا باعتبار ما يثول إليه، لأن الأفيق هو الجلد فى الدباغ فقال عقب كلامه الذى تقدم ذكره:

" .. ألا ترى ما أنشده الأضعى وهن مدا غضن الأفيق (٣)

(١) المسد موضع بمكة عند بستان ابن عامر (فى الماضى) وذلك البستان

مأسدة، وقيل هو موضع بقرب مكة شرفها الله تعالى.

لسان العرب ١٩٧١/٣ (سد).

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٣) الغضن والغضن الكسر فى الجلد والشوب والدرع وغيرها وجمعه

غضون.

فسمى جلودها وهي حبة أفيقا، وإنما الأفيق الجلد ما دام في
الدباغ، وهو قبيل ذلك جلد وإهاب ونحو ذلك، ولكنه لما كان قد
يصير إلى الدباغ سماه أفيقا، وأطلق ذلك عليه قبل وصوله إليه
على وجه تصور الحال المتوقعة...^(١).

ثم ساق صاحب لسان العرب عدة أمثلة من قبيل المجاز المرسل
علاقته اعتبار ما يكون أو ما يشول إليه دون أن يصرح باسم هذه
العلاقة فقال: "... ونحو منه قوله تعالى: "إني أراني أعصر
خمرا"^(٢) وقول الشاعر:

إذا ما مات ميت من قميم فسرك أن يعيش فجى بزاد

فسماه ميتا وهو حي؛ لأنه سيموت لا محالة وعليه قوله تعالى
(إنك ميت وإنهم ميتون)^(٣) أى إنكم ستموتون قال القرزدي:

قتلت قتيلا لم يبر الناس مثله أقلبه ذا تومنين مسورا^(٤)

والمجاز كما هو واضح في البيت الأخير في (قتيلا) لأنه لم
يقتل مقتولا، وإنما قتل حيا يصير بعد قتله قتيلا^(٥).

(١) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٢) يوسف / ٣٦.

(٣) الزمر / ٣٠.

(٤) لسان العرب ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٥) ينظر الخصائص، لابن جنى ١٧٧/٣.

ونلاحظ في الكلمات التي أوردها لسان العرب أنه أوماً إلى شئ مهم وهو أن الأيلولة في هذه العلاقة ليست حتمية دائماً، بل قد تكون حتمية ^{تدنياً} في إطلاق الميت على الحي؛ لأنه صائر إلى الموت لا محالة، وقد تكون ظنية محتملة كما في إطلاق الأفيق على الجلد يشعر بذلك قوله (ولكنه لما كان قد يصير إلى الدباغ سماه أفيقاً) فمفهوم تلك العبارة أنه قد لا يصير إلى الدباغ، ويعزز هذا المعنى وبعضه قوله بعد ذلك في هذا الصدد أيضاً (وأطلق ذلك عليه قبل وصوله إليه على وجه تصور الحال المتوقعة) فالأيلولة متوقعة وليست متيقنة، ولذلك فرق في نهاية هذه الأمثلة بين إطلاق العفر على الجذب وإطلاق ميت على الحي فقال :

"وإذا جاز أن يسمى الجذب عفراً؛ لأنه قد يصير إلى العفر، وقد يمكن ألا يصير الجذب إلى العفر كان تسمية الحي ميتاً لأنه ميت لا محالة أجدر بالجواز"^(١).

ولم أجد هذا المعنى الذي ألمح إليه صاحب لسان العرب حول حتمية الأيلولة في هذه العلاقة، أو عدم حتميتها فيما قرأت من الكتب البلاغية إلا في الرسالة البيانية للصبان - رحمه الله - فقد قال: "الثالثة عشرة اعتبار ما شأنه أن يشول إليه الشئ ظناً كقوله تعالى (إني أراني أعصر خمراً)^(٢) أي عنبا يشول عصيره إلى الخمرية... أو قطعاً كقوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون)^(٣).

(١) لسان العرب ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٢) يوسف /٣٦.

(٣) الزمر/٣٠ والرسالة البيانية /٢٢٨.

وقد جعل بعض أعلام اللغة العربية المجاز في بعض الأمثلة
السالفة الذكر المسببية فقال: "... وعليه قول الله سبحانه (إني أراني
أعصر خمرا) وإنما يعصر عنبا يصير خمرا فاكتفى بالمسبب الذي هو
الخمر من السبب الذي هو العنب وقال الفرزدق:

قتلت قتيلًا لم يـر الناس مثله أـقلبه ذا تومتين مسورا^(١)

وإنما قتل حيا يصير بعد قتله قتيلًا فاكتفى بالمسبب من
السبب^(٢) وقد سبق أن أشرت إلى أنه لا ضرر في أن ينظر في المجاز
الواحد إلى أكثر من علاقة واحدة، ومدار الفرق على العلاقة
المقصودة^(٣).

(١) التومة اللؤلؤة، والمسور لابس السوار.

(٢) الخصائص، لابن جني ١٧٧/٣.

(٣) ينظر حاشية الخضري على شرح الملوي على السمرقندية ٤٦/

والمباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ١٨٢.

الكليّة

هى "كون الشئ متضمنا لشيء آخر ولغيره نحو قوله تعالى: (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) (١) أى رءوس أناملهم" (٢)

ولم أظفر بأمثلة كثيرة فى لسان العرب لهذه العلاقة - على قدر جهدى - وجاء تناول لسان العرب لهذا النزر اليسير من أمثلة تلك العلاقة على صورة واحدة ذكر فيها أنها تتمثل فى تسمية الجزء باسم الكل فقد قال فى أحد المواضع: "... وربما سمو البيت الواحد شعرا حكاة الأخفش قال ابن سيده وهذا ليس بقوى إلا أن يكون على تسمية الجزء باسم الكل كقولك الماء للجزء من الماء، والهواء للطائفة من الهواء، والأرض للقطعة من الأرض" (٣)

فقول ابن سيده الذى ارتضاه صاحب لسان العرب، ونقله عنه (... تسمية الجزء باسم الكل) يشير إشارة واضحة جلية إلى علاقة الكليّة أعنى إطلاق الكل وإرادة الجزء، فيقال كما ألمح قرأت شعرا أى بيتا من الشعر، وشربت الماء أى بعضها منه، لأن الإنسان لا يشرب الماء كله، واستنشقت الهواء أى جزءا منه، وسكنت الأرض أى بقعه معينة منها.

(١) البقرة / ١٩.

(٢) الرسالة البيانية، للصبان / ١٩٧-١٩٨.

(٣) لسان العرب ٣/ ٢٢٧٤ (شعر)

ومثل ذلك ما أشار إليه في أحد المواضع من أن الصلاة تطلق على القراءة؛ لأن القراءة بعض منها فقد قال: "وفي حديث قراءة الفاتحة قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين أراد بالصلاة ههنا القراءة تسمية للشئ ببعضه..".^(١)

والمقصود من القراءة كما يدل صدر الحديث قراءة الفاتحة؛ لأن الحديث الشريف جاء بشأنها.

وقد يكون من إتمام الفائدة أن أورد هذا الحديث بتمامه ثم أكمل الكلام عن المجاز فيه، فقد روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدي، وقال مرة فوض إلى عبدي، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل"^(٢).

وقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله - في شرح الحديث ما يؤكد أن المراد بالصلاة في الحديث الفاتحة فقال: "قال العلماء المراد

(١) المصدر نفسه ٣٦٣/٥ (قسم).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٧/١ ط الشعب.

بالصلاة هنا الفاتحة" (١) وواضح أن إطلاق الصلاة التي تتضمن أقوالا وأفعالا كثيرة على (الفاتحة) وحدها مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل على بعض منه.

وقد بدا لي أن قول صاحب اللسان في كلامه المتقدم (أراد بالصلاة ههنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) لا يتسق صدره مع عجزه، فإن قوله (تسمية للشئ ببعضه) يدل على أن المصرح به في الكلام هو البعض، والواقع خلاف ذلك، لأن المذكور في الكلام هو الكل أعنى الصلاة التي أريد بها الفاتحة.

وقد وجدت أن صاحب لسان العرب قد نقل هذا القول عن ابن الأثير (٢) دون أن ينعم النظر فيه، أو يفطن لما فيه من خلل، ولعله سهو منهما معا. والذي يعزز ما قلته، ويقويه أن صاحب اللسان ذكر في علاقة الجزئية، وهو بصدده الحديث عن إطلاق الرقبة على الإنسان كله أن الجملة سميت باسم العضو تسمية للشئ ببعضه (٣).

ولاشك أن استعمال تعبير واحد في علاقتين متقابلتين يدل على أنه مجانب للصواب في إحدهما، وكان يمكن أن يقال - مثلا - تسمية للجزء باسم الكل كما قال في الأمثلة التي سلف ذكرها في مطلع الحديث عن هذه العلاقة التي نحن بسبيلها حتى يكون الكلام متلائما متناسقا.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩/١ ط الشعب.

(٢) بنظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٦١/٤.

(٣) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب).

الجزئية

الجزئية هي كون الشيء يتضمنه شيء آخر نحو قوله تعالى "كل شيء هالك إلا وجهه" (١) أى ذاته .. (٢).

وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على عدة

صور :

أحدها: أنه صرح بأن إطلاق الجزء على الكل مجاز، فقد قال في أحد المواضع: "الظَّفُّ والظَّفُّ ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها... وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازاً ومنه حديث رقيقة تتابعت على قريش سنو جذب أقحلت الظلف، أى ذات الظلف" (٣).

فكلامه صريح فى أن الظلف، وهو من الشاة والبقرة والظبي ونحوها مثل الحافر من الفرس، والخف من البعير (٤) يطلق على الحيوان كله مجازاً ولا يخفى أنه مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن الظلف جزء من هذه الحيوانات.

وقد ذكر صاحب لسان العرب هذا الكلام فى موضع آخر منسوباً إلى (عبد المطلب) دون أن يصرح فيه بكلمة المجاز، ولكنه

(١) القصص / ٨٨.

(٢) الرسالة البيانية للصبان / ١٩٩.

(٣) لسان العرب ٤/ ٢٧٥١ - ٢٧٥٢ (ظلف).

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٢٧٥١ (ظلف).

ذكر ما يفيد أنه من قبيل ذلك المجاز، فقد قال: "القاحل اليابس من الجلود... وفي الحديث قحل الناس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي يبسوا من شدة القحط، وقد قحل يقحل قحلا إذا التزق جلده بعظمه من الهزال والبلى... ومنه حديث استسقاء عبد المطلب تتابعت على قريش سنو جدد قد أقحلت الظلف، أي أهزلت الماشية، وألصقت جلودها بعظامها، وأراد ذات الظلف" (١) فقولته (... وأراد ذات الظلف) فيه إشارة واضحة إلى أن الإقحاح ليس للظلف وحده بل إن الحيوان كله قد اعتراه الهزال، وأصابه الجفاف والضمور، وهذا يعتبر مجازا مرسلا علاقته الجزئية.

؛ ولم أجد أحدا من البلاغيين الذين قرأت كتبهم قد مثل لعلاقة الجزئية بإطلاق الظلف على الحيوان.

والمتأمل في هذا المثال يجد أنه جزء من الحيوان غير ذي بال، ولا يستأهل أن يحفل به في بادئ الرأي، ويطلق على الحيوان كله، وقد يؤيد هذا أن سعد الدين التفتازاني قد اشترط في الجزء الذي يطلق على الكل أن يكون وثيق الصلة بالفرض الذي يتوخاه المتكلم من الكل، فقد قال: "لا بد في الجزء المطلق على الكل من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل مثلا لا يجوز إطلاق اليد، أو الإصبع على الربيثة، وإن كان كل منهما جزءا منه" (٢).

(١) لسان العرب ٣٥٣٨/٥ (قحل)

وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٨/٤.

(٢) المطول ٣٥٦/٤ وينظر شروح التلخيص ٣٥/٤-٣٦.

وواضح أن الظلف من الحيوان أقل قيمة في جسم هذا الحيوان من اليد بالنسبة لجسم الإنسان؛ لأنه (ظفر كل ما اجتر) كما جاء في اللسان، وقد نصت بعض الكتب البيانية على أن الظفر لا يصح أن يطلق على الإنسان لعلاقة الجزئية^(١).

فهل يكون قول صاحب لسان العرب (وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازاً) - غير متلائم مع ما ذكره بعض البيانين؟

الذي يبدو لي أن كلام صاحب اللسان حق، وأن كلام بعض البيانين إن صح في إطلاق الظفر على الإنسان، فإنه لا يتأتى في إطلاق الظلف على الحيوان كله، فإنه يظهر من سياق العبارة (تتابعت على قریش سنو جذب أقحلت الظلف) أن العرب كانت تميز بين أنواع الحيوانات بالعضو الذي تطأ به الأرض في مشيها يدل على ذلك الحديث الذي أورده صاحب لسان العرب (لا سبق إلا في خف أو نصل، أو حافر) وقد عقب عليه بقوله "فالخف الإبل ههنا، والحافر الخيل، والنصل السهم الذي يرمى به"^(٢)

ويبدو أن قائل عبارة (تتابعت على قریش ...) كان يقصد منها الحيوانات التي يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها في أغلب أحوالهم، وهي البقر، والغنم، وما أشبهها هي التي تهتم، وتعنيهم،

(١) ينظر الرسالة البيانية، للصبان، وحاشية الإنبأبي عليها / ٢٠٠.

(٢) لسان العرب ١٢١٣/٢ (خف).

ومن هنا كان للظلف في نظرهم قيمة، لأنه يمثل هذه الحيوانات، ويميزها عما عداها من الحيوانات، فاستحق أن يطلق على الحيوان كله، وهذا يؤكد (أن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم" (١).

ثانيتها : أنه كان أحيانا يذكر أمثلة من قبيل تلك العلاقة، ويذكر عقبها أن فيها تسمية للشئ ببعضه، فقد بين في أحد المواضع أن القرآن - أى القراءة - يطلق على الصلاة؛ لأن القراءة بعض منها فقال :

"... وقرأت الكتاب قراءة وقرأنا (٢) ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن فهو مقروء، وقال ابن الأثير تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شئ جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن، لأنه جمع القصص، والأمر، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران قال - أى ابن الأثير - وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة تسمية للشئ ببعضه، وعلى القراءة نفسها.. (٣)

(١) أسرار البلاغة / ٣١٦.

(٢) واضح أن كلمة (قرآن) هنا مصدر مرادف للقراءة كما سيبنى بعد قليل.

(٣) لسان العرب ٣٥٦٣/٥ (قرأ).

فقوله الذى باركه، وارتضاه، ونقله عن ابن الأثير إن القرآن -
بمعنى القراءة - يطلق على الصلاة (لأن فيها تسمية للشئ ببعضه)
يشير إشارة واضحة إلى مضمون علاقة الجزئية التى يطلق فيها اسم
الجزء على الكل، ولم يذكر صاحب اللسان في هذا الموضع مثالا أطلق
فيه القرآن على الصلاة، ولعله كان يلوح بما ذكره إلى ما جاء فى قوله
تعالى: "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا"^(١) فقد قال
الزمخشري "... (وقرآن الفجر أى صلاة الفجر سميت قرآنا وهو
القراءة؛ لأنها ركن..)"^(٢)

وبهذا يتضح أن إطلاق (القرآن) على الصلاة مجاز مرسل
علاقته الجزئية، أما إطلاقه على القراءة، فهو حقيقة؛ لأن حينئذ يكون
مصدرا مرادفا للقراءة كما تبدى من الكلام الذى سلف ذكره، ويؤكد
هذا المنحى، ويدعمه إطلاقه على القراءة فى قوله تعالى: "إن علينا
جمع قرآنه"^(٣) أى قرآته^(٤)

وقد أفدنا مما أورده صاحب لسان العرب فى هذا الموضع أن
القرآن الكريم سمي بهذا الاسم؛ لأنه مقروء، أو لأنه جمع القصص،
والأوامر، والنواهي، والوعد والوعيد...^(٥).

(١) الإسراء / ٧٨.

(٢) الكشاف ٣٧٢/٢ وينظر البرهان فى علوم القرآن، للزركشى ٢/٢٦٦.

(٣) القيامة / ١٨.

(٤) ينظر لسان العرب ٣٥٦٣/٥ (قرأ).

(٥) ينظر المصدر نفسه والموضع.

ومن هذا القبيل الذى عقب فيه على بعض أمثلة هذه العلاقة بأن فيها تسمية للشئ ببعضه ما ذكره حول تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ركوعاً؛ لأن الركوع جزء منها فقد قال فى بعض المواضع:

"... وجبى الرجل وضع يديه على ركبتيه فى الصلاة، أو على الأرض، وهو أيضاً انكباه على وجهه... وفى الحديث أن وقد ثقف اشتراطوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا^(١) يعشروا، ولا يحشروا، ولا يجبوا، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا خير فى دين لا ركوع فيه"^(٢).

ثم نقل عن ابن الأثير قوله "... والمراد بقولهم لا يجبون أنهم لا يصلون، ولفظ الحديث يدل على الركوع والسجود؛ لقوله فى جوابهم ولا خير فى دين ليس فيه ركوع، فسمى الصلاة ركوعاً لأنه بعضها"^(٣).

واضح أن تسمية الصلاة ركوعاً مجاز مرسل علاقته الجزئية، وهذا مجاز قرأنى مشهور لا أجد حاجة إلى ذكر شواهد منه فى هذا الصدد.

(١) فى لسان العرب طبعة دار المعارف (أن يعشروا) دون (لا) والصواب ما أثبتته، ولعله خطأ مطبعى، وقد كتب صحيحاً فى مادة (حشر) وعشر).

(٢) لسان العرب ٥٤٢/١ (جبنى).

(٣) المصدر نفسه، والموضع.

وهنا أجد أن من المفيد الذي يقتضيه المقام أن أشير إلى معنى اشتراطهم (ألا يعشروا، ولا يحشروا) بعد أن أصبح واضحاً لدينا أن معنى اشتراطهم (ألا يجبوا) أى لا يصلوا، وإن كان ذلك بعيداً عما نحن فيه من حديث المجاز، حتى لا يترك قارئ هذا العمل متظلعاً إلى معرفته، والوقوف على فحواه، وقد أغنانى صاحب اللسان - رحمه الله - عن متونة البحث فى مصادر أخرى، فقد بين فى مادة (حشر) أن معنى (لا يحشروا) أنهم لا يندبون إلى المغازى والجهاد^(١) وبين فى مادة (عشر) أن معنى (لا يعشروا) أى لا يؤخذ عشر أموالهم أى لا يدفعون الزكاة^(٢) وقد يستغرب كل من يقرأ هذا الحديث، ويتساءل كيف يسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقيف أن يتركوا الجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام، وأن يسقط عنهم الزكاة؟.

والإجابة عن هذا التساؤل أنه صلى الله عليه وسلم "أراد أن يتألفهم، ويدرجهم شيئاً فشيئاً"^(٣) فإذا ما ذاقوا حلاوة الإيمان، امتثلوا إلى جميع أوامره.

وقد "سئل جابر - رضى الله عنه - عن اشتراط ثقيف ألا صدقه عليها ولا جهاد، فقال علم - أى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنهم سيتصدقون، ويجاهدون إذا أسلموا، ولم يرخص لهم فى ترك الصلاة؛ لأن وقتها حاضر متكرر بخلاف وقت الزكاة والجهاد"^(٤)

(١) لسان العرب ٢/٨٨٣ (حشر).

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٩٥٣ (عشر).

(٣) المصدر نفسه والموضع.

(٤) المصدر نفسه ١/٥٤٢ (جى).

ثالثتها : ألا يصرح بلفظ المجاز، ولا يذكر أن ذلك من تسمية الكل باسم الجزء، ولكنه يصرح بنقل اللفظ من الجزء إلى الكل، وهذا بعينه هو المجاز المرسل بعلاقة الجزئية فقد قال في أحد المواضع: "رباً القوم يريؤهم رباً، ورباً لهم، اطلع لهم على شرف... والريثة الطليعة، وإنما أنشوه؛ لأن الطليعة يقال له العين؛ إذ بعينه ينظر، والعين مؤنثة، وإنما قيل له عين؛ لأنه يرمى أمورهم، ويحرسهم، وحكى سيبويه في العين الذي هو الطليعة أنه يذكر ويؤنث، فمن أنث، فعلى الأصل، ومن ذكر، فعلى أنه قد نقل من الجزء إلى الكل" (١)

فكون اللفظ قد (نقل من الجزء إلى الكل) صريح في أنه مجاز لغوي، لم يبن على علاقة المشابهة، فيكون مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية.

ونلاحظ أن هذه الحكاية التي حكاها (سيبويه) تعتبر إشارة مبكرة جداً إلى المجاز المرسل بشكل عام، وإلى علاقة الجزئية بوجه خاص، ومعلوم أن (سيبويه) متوفى عام (١٨٠) هـ.

وقد زاد صاحب لسان العرب أمر الريثة توضيحاً فقال إثر كلامه السابق: "... وفي الحديث مثلى ومثلكم كرجل ذهب يرباً أهله (٢) أى يحفظهم من عدوهم، والاسم الريثة، وهو العين، والطليعة الذي ينظر للقوم؛ لثلاثتهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه" (٣).

(١) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (رباً)

(٢) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٤٨٤/١.

(٣) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (رباً)

وقد أشار صاحب اللسان في موضع آخر إلى أن العين (٣) الذي ينظر للقوم قد نقل من الجزء إلى الكل، وهذا هو الذي جعلهم يذكرونه فقال: "والعين الذي ينظر للقوم يذكرو ويؤنث، سمي بذلك؛ لأنه إنما ينظر بعينه، وكان نقله من الجزء إلى الكل هو الذي حملهم على تذكيره، وإلا فإن حكمه التأنيث، قال ابن سيده وقياس هذا عندي أن من حملة على الجزء فحكمه أن يؤنثه، ومن حملة على الكل فحكمه أن يذكره، وكلاهما قد حكاه سيبويه..." (١)

وفيما ذكره هؤلاء اللغويون حول تذكير كلمة (العين) إذا أريد به الطليعة إشارة جلية إلى أثر المجاز في الكلمة، فقد تغير من أجله حكم الكلمة من التأنيث إلى التذكير، فكأنها أفرغت من معناها الأصلي، وصبت في قالب مجازي جديد، استدعى حكما جديدا.

ويمكن توضيح ذلك بمثال فيقال -مثلا- هذه عين باكيته من خشية الله، بتأنيث (عين) الباصرة، لأنها جزء من الإنسان، فإذا ما نقلت (عين) إلى الربيثة والرقيب يقال سهر عين يقظان علي حراستنا بتذكيرها، لأنها أطلقت على الرقيب كله.

وقد اتخذ البلاغيون من إطلاق العين على الرقيب منطلقا إلى بيان أهمية الجزء الذي يطلق على الكل، وأنه ينبغي أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى المراد، فقد قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني بعد أن أشار إلى بعض علاقات المجاز المرسل وأمثلتها: "...فالعين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيثة صارت كأنها الشخص كله؛ إذ كان لولا هداها لا يعى شيئا مع فقدها" (٢).

(١) لسان العرب ٣١٩٧/٤ (عين).

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٨.

وقد استلهم قول الشيخ، وسار على سننه من جاء بعده من البلاغيين، فقد قال السكاكي: "... ونحو أن يراد الرجل بالعين، إذا كان ربيثة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيثة صارت كأنها الشخص كله" (١).

وقال سعد الدين التفتازاني: "... كالعين وهي الجارحة المخصوصة في الربيثة وهي الشخص الرقيب، والعين جزء منه، ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق علي الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل..." (٢).

وفيما ذكرته من كلام بعض البلاغيين غنية، وكفاية في هذا المقام (٣).

بقيت هنا نقطة أود أن أشير إليها، وهي المصاحبة، والارتباط بين كلمات العين والربيثة، والطلبة في كلام صاحب لسان العرب، وبعض البلاغيين، فنجد صاحب اللسان يقرن بينهما في قوله: "والاعتيان الارتباد، وبعثنا عيناً أى طليعة يعتاننا، وبعثان لنا أى يأتينا بالخبر... واعتان لنا فلان أى صار لنا عيناً أى ربيثة.." (٤)

(١) المفتاح / ١٧٣.

(٢) المختصر ٤/ ٣٥-٣٦ شرح التلخيص.

(٣) وينظر بغية الإيضاح ٣/ ٩٥ والأطول للعصام ٢/ ١٢٠.

(٤) لسان العرب ٤/ ٣١٩٧ (عين).

فقد فسر كلمة (عين) مرة بالطليعة، ومرة بالريثة، وقد سبق أن أوردت في صدر هذا الحديث عن استعمال العين مجازاً في الرقيب قوله " .. والريثة الطليعة، وإنما أنشوه؛ لأن الطليعة يقال له العين... " وقد بحثت عن معنى كلمة (الطليعة) فوجدته يذكر في مادة (طلع) أنها تستعمل في الواحد والجمع الذين يستطلعون أخبار العدو، ويراقبون تحركاته فقد قال :

"والطليعة القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو، والواحد والجمع فيه سواء، وطيبة الجيش الذي يطلع من الجيش يبعث ليطلع طلع العدو... وفي الحديث أنه بعث بين يديه طلائع هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس واحدهم طليعة" (١).

ومن البلاغيين الذين جمعوا بين هذه الكلمات الثلاث العصام - رحمه الله - فقد صرح بأن العين تستعمل في الريثة، والريثة الطليعة.. (٢)

ولعله بذلك الجمع يكون قد استدرك ما فات أمثال الشيخ عبد القاهر، والسكاكي والخطيب القزويني الذين ذكروا في هذا المجال أن العين استعملت في الريثة دون أن يكشفوا الغطاء عن معنى الريثة (٣).

(١) لسان العرب ٤/ ٢٦٩٠ (طلع).

(٢) ينظر الأطول، للعصام ٢/ ١٢٠.

(٣) ينظر أسرار البلاغة ٣١٨/ والفتاح ١٧٣/ وبغية الإيضاح ٣/ ٩٥.

وغنى عن البيان أن كلمتى الربیثة، والطلیعة، قد أتى بهما فى الكلام السابق لـ ضیح المراد بكلمة العین عندما تطلق مجازا على الشخص كله، وكلتاهما قد استعملت فى معناها الحقیقی.

رابعتها : أنه كان فى بعض الأحيان یشرح مضمون المجاز، ویوضح مفهومه دون أن یصرح بلفظ المجاز، أو الجزئیة، أو شیء من هذا القبیل، فقد ذكر فى أحد المواضع أن التسبیح یأتى بمعنی الصلاة، وفى هذا إشارة إلى أنه أطلق على الصلاة؛ لأنه جزء منها "... تقول قضیت سبحتی، وروى أن عمر رضی الله عنه جلد رجلین سبحا بعد العصر أى صلیا قال الأعشى :

وسبح على حین العشیات والضحی ولا تعبد الشیطان والله فاعبدا

یعنى الصلاة بالصباح والمساء، وعلیه فسر قوله تعالى (فسبحان الله حین تمسون وحین تصبحون) ^(١) یأمرهم بالصلاة فى هذین الوقتین، وقال الفراء (حین تمسون) المغرب والعشاء (وحین تصبحون) صلاة الفجر (وعشیا) العصر وحین تظهرون) *الأولى ^(٢)

(١) الروم / ١٧.

* الروم / ١٨.

(٢) فى معانى القرآن، للفراء (وحین تظهرون) صلاة الظهر ٣٢٣/٢ ولعل صاحب اللسان أو من أخذ عنه وجد فى إحدى نسخ معانى القرآن كلمة (الأولى) بدل صلاة الظهر بناء على ما هو مشهور من أن جبریل صلی بالرسول صلی الله علیه وسلم صلاة الظهر قبل أى صلاة أخرى.

وقوله تعالى (وسبح بالعشى والإبكار) * أى وصل، وقوله عز وجل
(فلولا أنه كان من المسبحين) (١) أراد من المصلين قبل ذلك ... (٢)
وقد سبق أن ألمحت إلي أن إطلاق التسبيح على الصلاة من
المجازات اللغوية التي عرفت منذ عهد مبكر، فقد أشار إليه أبو عبيدة
في كتابه (مجاز القرآن) (٣)

ومن هذا الضرب أيضا ما نقله صاحب لسان العرب عن بعض
اللغويين، ومضمونه إطلاق لفظ كلمة على كلمة التوحيد وهي مركبة
من كلمات، وهذا يعنى أنها مجاز مرسل علاقته الجزئية فقد قال :
"... وقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) (٤) قال الزجاج عنى
بالكلمة هنا كلمة التوحيد لا إله إلا الله، جعلها باقية في عقب
إبراهيم لا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل" (٥).

وواضح أن إبراهيم عليه السلام لم يقل لا إله إلا الله صراحة
كما قال الزجاج، وإنما قال (إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) (٦).

* * آل عمران / ٤١.

(١) الصافات / ١٤٣.

(٢) لسان العرب ٣ / ١٩١٦ (سبح)

(٣) عند الكلام عن المجاز المرسل عند أبي عبيدة.

(٤) الزخرف / ١٨.

(٥) لسان العرب ٥ / ٣٩٢٢ (كلم)

(٦) الزخرف / ٢٦.

وهذا القول يعدل لا إله إلا الله، وقد صرح بذلك الإمام فخر الدين الرازى - رحمه الله - حين قال فى تفسير الآية: "... (وجعلها) أى وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله (إنتى براء مما تعبدون) جاريا مجرى (لا إله) وقوله (إلا الذى فطرنى) جاريا مجرى قوله (إلا الله) فكان مجموع قوله (إنتى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى جاريا مجرى قوله (لا إله إلا الله) (١).

وسواء قلنا إن لفظ (كلمة) أطلق على كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أو على قوله (إنتى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) الذى يعدلها، فإنه مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن فيه تسمية الكل باسم الجزء.

وإطلاق الكلمة على الكلمات مجاز قرأنى مشهور، فقد سمي الله قول الكفار (قالوا اتخذ الله ولدا) (٢) كلمة فى قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (٣) وهو كلمات، وسمى هذا الكلام كما تسمى القصيدة كلمة (٤).

وجعل سبحانه وتعالى - قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) (٥) كلمة فى قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) (٦) وهو كلمات عديدة.

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٠٩/١.

(٢) الكهف / ٤. (٣) الكهف / ٥.

(٤) التفسير الكبير ١١ / ٧٩/١.

(٥) الصافات / ١٧٢، ١٧٣.

(٦) الصافات / ١٧١.

ومن هذا الصنف كذلك ما نقله صاحب لسان العرب عن الزجاج أيضا في تفسير (وجهه) من قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) ^(١) فقد قال "... قال الزجاج أراد إلا إياه" ^(٢) أي إلا ذاته، كما ذكر في صدر الكلام عن هذه العلاقة، فيكون إطلاق الوجه على ذاته تعالى مجازا مرسلحا علاقته الجزئية.

(١) القصص / ٨٨.

(٢) لسان العرب ٤٧٧٥/٦ (وجه)

وينظر معانى القرآن، للفراء ٣١٤/٢

المحلية

هى كون الشيء محلاً لآخر نحو جرى الميزاب أى الماء^(١).
وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة على عدة وجوه
أحدها : أن يصرح بأن إطلاق المحل على الحال اتساع ، فقد قال فى
أحد المواضع «..... والغوط والغائط المتسع من الأرض مع طمأنينة
... الغوط عمق الأرض الأبعد، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط،
ولوضع قضاء الحاجة غائط؛ لأن العادة أن يقضى فى المنخفض من
الأرض حيث هو أستر له، ثم اتسع فيه حتى صار يطلق على « النجو
نفسه، والغائط العذرة نفسها؛ لأنهم كانوا يلقونها بالغيطان»^(٢)
فالغائط فى الأصل موضع منخفض من الأرض ، وقد يخرج عن معناه
على سبيل المجاز ويطلق على ما يخرج من البطن؛ لأنهم كانوا
يلقونه بالغيطان من إطلاق المحل على الحال، فالعلاقة فى هذا المجاز
المحلية، والنجو ما يخرج من البطن أيضاً، ومنه قولهم استنجى فلان
أى مسح موضع النجو أو غسله، ويقال أنجى أى أحدث^(٣) .
ثانيها : أن يذكر أن الشيء يسمى باسم موضعه أى محله،
فقد قال فى أحد المواضع: «..... والجبان والجبانة بالتشديد
الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون فى الصحراء، تسمية
للشئ بموضعه»^(٤) .

(١) الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٤٠ .

(٢) لسان العرب ٣٣١٦/٥ (غوط) .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤٣٦٠/٦ (نجأ) .

(٤) المصدر نفسه ٥٤٠/١ (جبن) .

فقد أطلق اسم الجبانة ، وهى الصحراء على المقابر ، فسميت المقابر جبانة ، لأنها تكون بالصحراء من إطلاق اسم المحل على الحال فيه ، فتولده (تسمية للشئ بموضعه) واضح الدلالة على أنه يعنى علاقة المحلية ، لأن اسم الموضع أطلق على الموضوع فيه ، أو بعبارة أخرى أطلق اسم المحل على الحال فيه .

ثالثها : أن يفهم من شرحه وبيانه أنه يقصد علاقة المحلية ، فقد قال فى أحد المواضع : « فضضت الشئ أفضه فضا فهو مفضوض وفضيض كسرتة ومزقتة ... وفى الدعاء لايفضض الله فاك أى لايكسر أسنانك ، والتم ههنا الأستان كما يقال سقط فوه يعنون الأسنان ... أو تقديره لايكسر الله أسنان فيك فحذف المضاف يقال فضه إذا كسره ، ومنه حديث النابغة الجعدي لما أنشده القصيدة الرائية قال لايفضض الله فاك^(١) قال - أي الجوهري - فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن^(٢) .

فعلى القول الأول الذى لايقدر فيه مضاف محذوف يكون الفم قد أطلق على الأسنان ؛ لأنه محلها ، فتكون العلاقة المحلية .
وقصيدة النابغة الجعدي التى يلوح إليها صاحب لسان العرب ،
هى التى جاء فيها :

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣ /

. ٤٥٣

(٢) لسان العرب ٤ / ٣٤٢٦ ، ٣٤٢٧ .

ولاخير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدر
ولاخير فى جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ماورد الأمر أصدر^(١)

ومن هذا القبيل الذى يفهم من شرحه أنه يقصد علاقة المحلية
ماذكره فى أحد المواضع من أن العذرة تطلق على الغائط الذى يخرج
الإنسان، والعذرة فى الأصل فناء الدار فقال :

«والعاذر والعذرة الغائط الذى هو السلاح وفى حديث ابن عمر
أنه كره السلت الذى يزرع بالعذرة يريد الغائط الذى يلقيه الإنسان ،
والعذرة فناء الدار وفى حديث على أنه عاتب قوماً فقال : مالكم
لاتنظفون عذراتكم أي أفئيتكم...»^(٢) .

فكلامه يشير إلى أن العذرة فى الأصل فناء الدار ثم أطلقت
على الغائط الذى هو السلاح، والنحو إطلاقاً للمحل على الحال، ولذلك
قال عقب كلامه السابق :

«وفى الحديث إن الله نظيف يحب النظافة فنظفوا عذراتكم
ولاتشبهوا باليهود^(٣)... قال أبو عبيد وإنما سميت عذرات الناس
بهذا لأنها كانت تلقى بالأفنية، وقال الخطيبه يهجو قومه ويذكر
الأفنية :

لعمرى لقد جريتكم فوجدتكم قباح الوجوه سيئ العذرات»^(٤)

(١) ينظر شعر النابغة الجعدى / ٦٩ منشورات المكتب الإسلامى بدمشق
ط أولى ١٩٦٤ م .

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ وينظر كتاب النهاية .. لابن الأثير ٣/ ١٩٩ .

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير
٣/ ١٩٩ .

(٤) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ (عذر) .

الحالية

الحالية كون الشيء حالاً في غيره كقوله تعالى « ففى رحمة الله »^(١) يعنى الجنة التى تحل فيها الرحمة^(٢) .

وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة فى مواضع من لسانه، ولم أعثر - قدر جهدي - على موضع ذكر فيه أن إطلاق الحال على المحل مجاز، ولكنه صرح فى أحد هذه المواضع بأنه اتساع، وعلى ذلك فإن تناوله لهذه العلاقة جاء على وجهين :

أحدهما : أنه أشار إلى أن إطلاق الحال على المحل اتساع، فقد أورد ماجاء فى حديث جابر «عقلت الجمل فى ناحية البلاط»^(٣) ثم عقب عليه بقوله «البلاط ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمي المكان بلاطاً اتساعاً وهو موضع معروف بالمدينة تكرر ذكره فى الحديث»^(٤) .

ويبدو أن هذا المكان كله قد سمي بلاطاً تسمية له باسم الحال فيه، لأن البلاط حال فى هذا المكان ، وبناء على ذلك تكون العلاقة فى هذا المجاز هى الحالية، ونلمح فى كلام لسان العرب فى هذا

(١) آل عمران / ١٠٧ .

(٢) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٣) الحديث فى كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٥٢/١ وينظر

الحديث فى فتح البارى ١٤٠/٥ .

(٤) لسان العرب ٣٤٤/١ وقد جاء فى (فتح البارى....) أن (البلاط)

موضع قرب مسجد المدينة . جزء المقدمة / ٩٤ .

الموضع أن ما يتردد على ألسنة الناس من مثل قولهم بلطت البيت، أو الدار أسلوب عربي فصيح، ويؤيد ذلك قول الزمخشري أيضاً بلط داره إذا فرشها بصخر أو آجر، وما أحسن بلاط صحنك^(١).

وفى لسان العرب دار مبلطة بآجر أو حجارة، ويقال بلطت الدار فهي مبلوطة إذا فرشتها بآجر أو حجارة^(٢).

ثانيهما : أنه قد يشير إلى أن الشيء يسمى باسم الحال فيه، وذلك يعنى أنه يقصد علاقة الحالية، فقد قال فى أحد المواضع : «... والخدْمَةُ السبر الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد فى رسغ البعير ... والخدْمَةُ الخلخال، وهو من ذلك؛ لأنه ربما كان من سيور يركب فيها الذهب والفضة، والجمع خدام، وقد تسمى الساق خدْمَةٌ حملاً على الخلخال؛ لكونها موضعه، والجمع خدْمٌ وخدام قال :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعراء^(٣)

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء

أراد وتبدي عن خدام العقيلة، وخدام ههنا فى نية عن خدامها.. وفى حديث سلمان أنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمته تذبذبان^(٤) أراد بخدمتيه ساقية؛ لأنهما موضع الخدمتين، وهما الخلخالان^(٥).

(١) أساس البلاغة (بلط) .

(٢) لسان العرب ٣٤٤/١ (بلط) .

(٣) غارة شعواء أى منتشرة .

ينظر لسان العرب ٢٢٨٢/٤ (شعا) .

(٤) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/

(٥) لسان العرب ١١١٥/٢ (خدم) .

واضح من كلام لسان العرب الذى سلف ذكره أن الساق سميت خدمة؛ لأنها موضع الخدمة أى الخلخال، وقد مثل لذلك الاستعمال بما جاء فى حديث سلمان (وخدمته تذبذبان) أى ساقاه، وقول الشاعر (وتبدي عن خدام العقيلة) فيكون المقصود من (خدام العقيلة) فى البيت ساقها، فالغارة تذهل الشيخ عن بنيه، وتجعل العذراء الكريمة تفر منها مشمرة عن ساقها، إمعاناً فى الهرب، واستسلاماً للفرار، ولكنى وجدت صاحب (مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف) ذهب إلى عكس ذلك، ففسر (خدام العقيلة) فى البيت بالخلخال عندما قال «وإذ هال الشيخ عن بنيه كناية عن اشتدادها - أى الغارة - وكذلك كشفها عن خدام العقيلة والخدام الخلخال» (١).

وإذا كان كشف الغارة عن خدام العقيلة كناية عن شدتها - كما قال - فإن الذى يتسق مع هذه الشدة، ويتلاءم معها أن يكون المراد بها ساقها كما ذكر فى لسان العرب، والذهاب إلى أنها الخلخال يضعف - كما يبدو لى - المعنى الذى تتوخاه هذه الكناية؛ لأن الخلخال عادة يكون أسفل الساق فلا ينبئ كشفه عن قوة الغارة، وشدتها.

وإطلاق الخدمة - أى الخلخال - على الساق؛ لأنه موضعه، أو لأنه حال بها من الأمثلة التى لم تعهدا كتب البلاغة المألوفة، أو

(١) مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، للشيخ محمد عليان المرزوقى/٧ فى نهاية الجزء الرابع من الكشاف. ط دار المعرفة - بيروت.

تسطرها أقلام البلاغيين المشهورين في علاقة الحالية ، ولعلها محتسب من الإضافات البلاغية التي أضافها هذا العمل المتواضع المائل بين أيدينا .

ومن هذا النوع ما ذكره في مادة (ثأر) فقد قال : «ويقال ثأرت القتييل وبالقتيل ... أي قتلت قاتله ... وأثأر فلان من فلان إذا أدرك ثأره، وكذلك إذا قتل قاتل وليه... وفي حديث عبد الرحمن يوم الشورى لا تغمدوا سيوفكم عن أعدائكم فتوتروا ثأركم^(١) الثأر هنا العدو؛ لأنه موضع الثأر أراد أنكم تمكثون عدوكم من أخذ وتره عندكم يقال وترته إذا أصبته بوتر وأوترته إذا أوجدته وتره ومكثته منه»^(٢).
فقوله (الثأر ههنا العدو، لأنه موضع الثأر) صريح في أنه أطلق الثأر على العدو؛ لأنه محل له، وسمى العدو ثأراً؛ لأن الثأر حال فيه، ونلاحظ بما ذكر من أمثلة هذه العلاقة أن الحال قد يكون اسم ذات مثل البلاط، والخدمة، وقد يكون معنى من المعانى مثل الثأر، ومثل الرحمة كما في قوله تعالى (ففي رحمة الله هم فيها خالدون)^(٣) أي جنته وقد لمس هذا المعنى العلامة الصبان عندما ذكر أن المراد بالحلول في هذه العلاقة ما يشمل حلول المتمكن في المكان،

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١/

. ٢٠٥

(٢) لسان العرب ١/٤٦٦ . (ثأر) .

(٣) آل عمران / ١٠٧ .

وحلول الأعراض في موضوعاتها^(١) ومن حلول الأعراض في
موضوعاتها ، ما جاء في قوله تعالى « خذوا زينتكم عند كل
مسجد »^(٢) فإن المراد بالزينة في الآية اللباس ، لأن الزينة حالة فيه ،
وقائمة به^(٣) .

(١) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٣٩ .

(٢) الأعراف / ٣١ .

(٣) ينظر حاشية الإنباهي على الرسالة البيانية / ٢٣٩ .

الفصل الثالث

المجاز عن المجاز

الفصل الثالث المجاز عن المجاز

عهدنا بالمجاز أنه « كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع
واضعها لملاحظة بين الثانى والأول» (١) .

فالكلمة المستعملة فيما وضعت له حقيقة، فإذا نقلت عن هذا
المعنى إلى معنى آخر له صلة بالأول ، كانت مجازاً ، فمثلاً كلمة
(رحمة) فى قولنا رحمة الله تنزل على عباده ليل نهار حقيقة؛ لأنها
استعملت فيما وضعت له، لكنها فى قوله تعالى « فأما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته...» (٢) مجاز عن الجنة؛
لأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله (٣) وواضح أن القسرينة
(فيدخلهم...) لأن الدخول لا يكون إلا فى مكان والرحمة معنى من
المعاني لا يتأتى الدخول فيها .

وقد يكون المجاز ليس متفرعاً عن الحقيقة مباشرة، ولكنه
متفرع عن مجاز آخر نزل منزلة الحقيقة بالنسبة للمجاز الذى تفرع
عنه، وقد مثل له عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى (ولكن
لاتواعدوهن سراً) (٤) فقال : «... إنه مجاز عن مجاز فإن الوطء

(١) أسرار البلاغة / ٢٨١ .

(٢) الجاثية / ٣٠ .

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة / ١٤٥ .

(٤) البقرة / ٢٣٥ .

يتجاوز عنه بالسر ، لأنه لا يقع غالباً إلا فى السر ، فلما لازم السر فى الغالب سمي سرأ ، ويتجاوز بالسر عن العقد، لأنه سبب، فيه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والمصحح للمجاز الثانى التعبير باسم المسبب الذى هو السر عن العقد الذى هو سبب ، كما سمي عقد النكاح نكاحاً؛ لكونه سبباً فى النكاح وكذلك سمي العقد سرا لأنه سبب فى السر الذى هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح، فمعنى قوله (ولكن لاتواعدهن سرأ) لاتواعدهن عقد نكاح» (١) .

وقد نقل كلام العزبن عبد السلام حول هذا المجاز الإمام الزركشى، وزاد عليه ما حكاه عن بعضهم من أن هذا المجاز يسمى مجاز المراتب، وجعل منه قوله تعالى : «يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً» (٢) فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المنبت للزروع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس» (٣) .

والذى دعانى إلى أن أعرج على هذا النوع من المجاز أننى وجدت صاحب لسان العرب يذكر أمثلة يمكن أن تعد من هذا المجاز، وإن كان لم يشر إلى أنها مجاز فضلاً عن كونها مجازاً عن مجاز، لكن سياق كلامه ينبىء أنها من قبيله، وصميمه، فقد ذكر أن السماء المطر، يقال مازلنا نطأ السماء أى المطر قال معاوية بن مالك :
إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً (٤)

(١) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) الأعراف / ٢٦ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن ٢/٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٤) ينظر لسان العرب ٣/٢١٠٨ (سما) .

ثم قال : « ويسمى العشب أيضاً سماء لأنه يكون عن السماء
الذى هو المطر، كما سموا النبات ندى؛ لأنه يكون عن الندى الذى هو
المطر، ويسمى الشحم ندى؛ لأنه يكون عن النبات قال الشاعر :
فلما رأى أن السماء سماؤهم أتى خطة كان الخضوع نكيرها
أى رأى أن العشب عشبيهم، فخضع لهم ليرعى إبله فيه» (١)
فالسمااء أطلقت على المطر لعلاقة المجاورة، ثم أطلق السماء بمعنى
المطر على النبات لأنه سبب إنباته وكذلك الندى الذى هو المطر أطلق
على النبات لأنه سبب إنباته، ثم أطلق الندى بمعنى النبات على
الشحم، لأنه سبب تكونه فى جسم الحيوان .
وقد زاد أمر هذا (الندى) إيضاحاً فى موضع آخر ، فحكى عن
بعد اللغويين أن «الندى المطر والبلبل، وقيل للنبت ندى؛ لأنه عن ندى
المطر نبت، ثم قيل للشحم ندى لأنه عن ندى النبت يكون، واحتج
بقول عمرو بن أحمـر :
كثور العذاب الفرد يضربه الندى تعلقى الندى فى متنه ومجذراً (٢)
أراد بالندى الأول الغيث والمطر، وبالندى الثانى الشحم،
وشاهد الندى اسم النبات قول الشاعر :

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) العذاب : أرض أنبتت أول نبت ثم أسرت .

ينظر لسان العرب ٢٨٣٢/٤ (عذب)

يلس الندى حتى كان سراته غطاها دهان أو ديايبج تاجر» (١)
فالندى بمعنى المطر حقيقة، وإطلاقه على النبات مجاز مرسل
من إطلاق السبب على المسبب، وإطلاق الندى بمعنى النبات على
الشحم مجاز مرسل أيضاً من إطلاق السبب على المسبب كذلك .
ويبدو أن ندرة أمثلة هذا الصنف من المجاز جعلت البلاغيين
لا يحفلون به كثيراً، ولا يهتمون بدراسته .

وهنا يعن أمامنا هذا التساؤل هل يمكن أن يسقط من الكلام
المجاز الذي يعتبر واسطة، ويبقى الكلام على مجازيته ؟
الذي يبدو من كلام بعض كبار البلاغيين أن هذا أمر ممكن، فقد
ذكر السكاكي - كما سبق في قول القائل :

..... يأكلن كل ليلة إكافا

أن هناك تعلقاً بين (إكاف) و (علف) «أى علفاً بثمرن إكاف
للتعلق بين ذلك العلف وبين الإكاف» (٢) .

فنجد أنه ترك الثمن، الذي يعتبر واسطة بين العلف والإكاف،
وجعله مطورياً منسياً، ويظهر ذلك أيضاً في كلمة (رزق) من قوله
تعالى (ينزل لكم من السماء رزقاً) (٣) فإنهم ذكروا - كما سبق -
أن (رزقاً) يراد به المطر؛ لأن الرزق مسبب عن المطر .

(١) لسان العرب ٤٣٨٧/٦ (ندى) .

ومعنى تلس الدابة النبات تأخذه بجحفلتها . أساس البلاغة (لسن)

(٢) المفتاح / ١٧٣ .

(٣) غافر / ١٣ .

فتراهم جعلوا التعلق بين الرزق والمطر، وأهملوا ، أو تناسوا
الواسطة بينهما، فإن كونه رزقاً ينتفع به لا يتأتى إلا بعد زراعة
الأرض ، ثم حصاد ما أنتجته ، والانتفاع به .
ومثل ذلك ما جاء في حديث (لو كان ثوبك في تنور أهلك)
الذى سلف ذكره، فقد نظروا إلى التعلق بين (ثوبك) والخبز، أو
الحطب الذى يوضع في التنور، وطووا الثمن الذى يشتري به،
والدقيق، أو الحطب الذى يشتري بثمن ذلك الثوب .

الفصل الرابع

بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب



الفصل الرابع

بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب

من المعلوم أن كلا من المجاز المرسل والاستعارة مجاز لغوي، والتفرقة بينهما باعتبار العلاقة، فإذا كانت العلاقة المشابهة، كان هذا المجاز استعارة، وإذا كانت العلاقة غير المشابهة، كان مجازاً مرسلًا، فالعلاقة هي الفيصل بين المجاز المرسل والاستعارة، ويمكن أن ينظر إلى اللفظ الواحد باعتبارين مختلفين، فيعد من الاستعارة إذا اعتبرت العلاقة المشابهة، ويعد من المجاز المرسل إذا اعتبرت علاقة أخرى غير المشابهة، قال سعد الدين التفتازاني: «... فإذا أطلق نحو المشفر على شفة الإنسان، فإن أريد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلظ، فهو استعارة وإن أريد أنه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى التشبيه، فمجاز مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارة، وأن يكون مجازاً مرسلًا باعتبارين»^(١).

من أجل ذلك وجدت الإمام فخر الدين الرازي قد وجه في اللفظ الواحد استعارة، ومجازاً مرسلًا باعتبار قصد العلاقة وملاحظتها فيهما، فقد بين أن لفظ (الكلمة) يطلق مجازاً على الكلام الكثير، إما من إطلاق الجزء على الكل، وإما على تشبيه ارتباط الكلام، وتماسه بارتباط حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض يقول في هذا

(١) المطول / ٣٥٧ .

الشأن : « إن إطلاق لفظ الكلمة على المركب مجاز، وذلك لوجهين : الأول إن المركب إنما يتركب من المفردات ، فأطلاق لفظ الكلمة على الكلام يكون إطلاقاً لاسم الجزء على الكل والثانى : إن الكلام الكثير إذا ارتبط بعبءه ببعض ، حصلت له وحدة، فصار شبيهاً بالمفرد فى تلك الوجوه، والمشابهة سبب من أسباب حسن المجاز، فأطلق لفظ الكلمة على الكلام الطويل لهذا السبب» (١).

وهذا صريح فى أن الكلمة الواحدة يمكن إجراء استعارة فيها إذا قصدت علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقى، والمعنى المجازى، ويمكن أن تكون مجازاً مرسلأ إذا قصد فيها علاقة الملابس، والارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى لأى سبب من الأسباب التى أشار إليها البلاغيون «فمدار الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة على العلاقة الملحوظة» (٢).

وقد ظفرت ببعض كلمات فى لسان العرب ذكر صاحبه فى بعض المواضع ما يفيد أنها مجاز مرسل، ثم صرح فى موضع آخر من لسانه بأنها استعارة، من هذه الكلمات كلمة (الأملوج) أى الغصن الناعم (٣) فقد ذكر فى أحد المواضع أنها أطلقت على السمن الذى ظهر على بكاراة الإبل التى تقتات هذا الغصن، وترعاه؛ لأنه سبب هذا السمن، فقال «... البكر بالفتح الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة... وفى حديث طهفة وسقط الأملوج من

(١) التفسير الكبير ١ / ٢٣ / ١ ونظر الباحث البيانىة فى تفسير الفخر الرازى / ٢٠٩

(٢) حاشية الإتهابى على الرسالة البيانىة ، للصبان / ١١١ .

(٣) لسان العرب ٦ / ٤٢٥٤ (ملج) .

البكارة^(١) بالكسر جمع البكر بالفتح يريد أن السمن الذي علا بكارة الإبل بما رعت من هذا الشجر قد سقط عنها، فسماه باسم المرعى؛ إذ كان سبباً له^(٢) .

فكلامه في هذا الموضع صريح في أن إطلاق (الأملاج) الذي ترعاه بكارة الإبل على السمن الذي كساها، وبدا على أجسامها من إطلاق السبب على المسبب، أي أنه مجاز مرسل علاقته السببية، وذلك ظاهر من قوله (فسماه - أي السمن - باسم المرعى؛ إذ كان سبباً له) .

ولكنه ذكر في موضع آخر أن (الأملاج) مستعار للسمن، فتال: «... ومنه حديث طهينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه قوم يشكون القحط، وفي نسخة وفد من اليمن، فقال قائلهم: سقط الأملاج، ومات العسلوج^(٣)... والأملاج الغصن الناعم.. وفي رواية سقط الأملاج من البكارة هو جمع بكر، وهو الثمنى السمين من الإبل، أي سقط عنها ما علاها من السمن برعى الأملاج، فسمى السمن نفسه أملاجاً على سبيل الاستعارة، قال ابن الأثير قاله الزمخشري^(٤) .

(١) الحديث في كتاب النبأية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١/١٤٩ .

(٢) لسان العرب ١/٣٣٤ (بكر) .

(٣) العسلوج مالان واخضر من قضبان الشجر .

ينثر المتجم الوجيز مادة (عسل) .

(٤) لسان العرب ٦/٤٢٥٤ (ملج) .

وينظر النبأية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/٣٥٣

ونلاحظ أن صاحب اللسان قد حرص على أن يضيف القول باستعارة الأملوج للسمن إلى الزمخشري اتباعاً لابن الأثير (١) .
مع أن المتأمل في كلام اللسان الذي أورده آنفاً يجد أن المناسب أن تكون كلمة (الأملوج) مجازاً مرسلأ ، وليست استعارة، والكلمات التي سيقب في هذا الصدد خير شاهد على ذلك، فالسمن الذي علا بكارة الإبل، وجلل أجسامها، إنما كان (برعى الأملوج) وغنى عن البيان أن الباء في قوله (برعى) للسببية، وفي ذلك ترشيح ، وتدعيم لكون (الأملوج) مجازاً مرسلأ، وليس استعارة.
ولا يمكن - كما يبدو - تمحل شبه بين (الأملوج) والسمن؛ لأن السمن غطى جميع أجسامها ، فلا يتأتى تشبيهه بالأملوج أعنى الفصن الناعم ولعل هنا هو السبب الذي جعل ابن الأثير ، وصاحب لسان العرب يحرصان على نسبة القول باستعارة (الأملوج) للسمن إلى الزمخشري - رحمه الله - ليضيفا عليها هالة من القوة والثبات؛ لأن الرجل ذائع الصيت ، جهير الصوت ، رفيع المنزلة في علم البيان .

وقد أغرمت بإنعام النظر في هذه المسألة ، وشغفت بتحرير القول فيها ، فتتبعت كلام كل من ابن الأثير ، والزمخشري تجاهها ، فوجدت ابن الأثير يقول فيها : «..... وفي رواية سقط الأملوج من البكارة هي جمع بكر، وهو الفتى السمين من الإبل أي سقط عنها ما علاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع .

سبيل الاستعارة قاله الزمخشري^(١) وهذه الكلمات التي جاءت في كتاب ابن الأثير هي بقضها وقضيضها كلمات صاحب اللسان التي سبق ذكرها ، ومعلوم أن كتاب ابن الأثير أصل من الأصول التي يأخذ عنها صاحب اللسان .

ووجدت الزمخشري يقول فيها^(٢) «... وروى وسقط الأملوج من البكارة أي هزلت البكارة فسقط عنها ما علاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة كقوله يصف غيثاً :

أقبل في المستن من ربابه أسنمة الآبال في سحابه^(٣)

فجعل استعارة (الأملوج) للسمن مناظرة، ومشاكلة للمجاز في قول الشاعر (أسنمة الآبال في سحابه) ومعلوم أن المجاز في قول هذا الشاعر من قبيل المجاز المرسل؛ لأن (أسنمة الآبال..) مسيبة عن الماء الذي يتزل من السحاب ، فهو مجاز مرسل علاقته المسببية^(٤)

(١) نفسه ٣٥٣/٤ .

(٢) أرشدني إلى مكان كلام الزمخشري حول هذه الاستعارة محقق كتاب النهاية .. لابن الأثير، وإن كنت لم أعثر عليه في الموضع الذي أشار إليه، لاختلاف طبعات الكتاب، وسيأتي ذكره عقب هذا الموضع مباشرة .

(٣) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري ٢٧٩/٢ .

تحقيق على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط ثانية .

(٤) ينظر المفتاح / ١٧٣ وبغية الإيضاح ٩٧/٣ .

وإذا كان الممثل به مجازاً مرسلأ، فإن الممثل أيضاً يكون كذلك،
وبعبارة أخرى إذا كان المجاز فى (أسنمة الآبال) مرسلأ، فإن إطلاق
(أملوج) على السمن يكون مرسلأ كذلك .

وقد أغنانا عن هذا القياس ، وتلك المناظرة العلامة جار الله
الزمخشرى نفسه، فصرح فى أحد المواضع من الكشاف بأن المجاز فى
قول الشاعر (أسنمة الآبال...) من إطلاق المسبب على السبب، فذكر
عند تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها... »^(١) أن النكاح فى الآية - يقصد فى نكحتم - بمعنى
العقد؛ لأن النكاح مسبب عن العقد، وشبه ذلك بقول الشاعر المتقدم،
وتسمية الخمر إثماً^(٢) فقال : « ... وتسمية العقد نكاحاً للملاسته له
من حيث إنه طريق إليه، ونظيره تسميتهم الخمر إثماً؛ لأنها سبب فى
اقتراف الإثم، ونحوه فى علم البيان قول الراجز (أسنمة الآبال فى
سحابه) سمي الماء بأسنمة الآبال؛ لأنه سبب سمن المال ، وارتفاع
أسنمته... »^(٣) .

وفى هذا دليل واضح على أن مصطلح الاستعارة الذى ذكره فى
قوله الذى سبق إirاده (....) فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل
الاستعارة (....) أريد به المجاز المرسل تحقيقاً لمعنى المناظرة ،

(١) الأحزاب / ٤٩ .

(٢) سبق فى علاقة المسببة إirاده قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى كذاك الإثم يذهب بالعقول

(٣) الكشاف ٢٤١/٣ .

والمماثلة بين المجازين إطلاق (الأملاج) على السمن وإطلاق (أسنة الآبال...) على الماء، وإن كانت العلاقة في أولهما السببية وفي الثانى السببية ويكون الزمخشري قد تساهل في إطلاق مصطلح الاستعارة على ما هو مجاز مرسل؛ لأنه كان «يتساهل في استعمال المصطلحات العلمية التي حدد هو مدلولها» (١).

ولعله يكون سائراً على نهج بعض العلماء الذين يجعلون (المجاز كله استعارة كأنك استعرت اللفظ من مستحقه الذي وضع له أولاً، ونقلته إلى ما تجاوزت به عنه) (٢).

ومن هذه الكلمات التي ذكر صاحب لسان العرب في بعض المواضع ما يفيد أنها مجاز مرسل، وذكر أيضاً أنها تكون استعارة كلمة (الفوهة) أى الفم، فقد ذكر أنها مجاز مرسل عن القالة أو الكلام فقال: «... وقولهم إن رد الفوهة لشديد أى القالة، وهو من فهت بالكلام، ويقال هو يخاف فوهة الناس أى قالتهم، والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم بعضاً بالغيبة، ويقال من ذا يطبق رد الفوهة» (٣).

وقد ذكرت ذلك فى علاقة الآلية، وذكر صاحب اللسان فى حديثه حول هذه المادة نفسها (٤) ما يدل على أن كلمة (الفوهة) قد

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري، للدكتور محمد أبو موسى / ٤٣٢.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز، لعز الدين بن عبد السلام / ٢٩ - ٣٠.

(٣) لسان العرب ٣٤٩٤/٥ / ٣٤٩٥ (فوه).

(٤) نفسه ٣٤٩٤/٥ (فوه).

تستعار لقم النهر، أو رأس الوادى ، أو نحو ذلك؛ لأن القم هو مدخل الأشياء إلى الجوف فقال «... وفوهة السكة والطريق والوادى والنهر فمه، والجمع فوهات وفواته .. وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فلما تفوه البقيع قال السلام عليكم^(١) يريد لما دخل قم البقيع، فشبهه بالقم؛ لأنه أول ما يدخل إلى الجوف منه، ويقال لأول الزقاق ، والنهر فوهته بضم الفاء ، وتشديد الواو ، ويقال طلع علينا فوهة إبلك أي أولها بمنزلة فوهة الطريق ...»^(٢) .

وفهم من كلامه الذى تقدم أن الفوهة أى القم قد استعيرت لأول السكة ، والطريق والوادى، والنهر ، وأول قطار الإبل على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأنها - كما هو واضح - فى اسم جنس يصدق على كثيرين^(٣) ونلاحظ أن فى الحديث النبوى الذى أورده استعارة تصريحية تبعية فى قوله (تفوه البقيع .. يريد لما دخل البقيع فشبهه بالقم) فليس التشبيه فى (تفوه) من التشبيه الاصطلاحى، بل هو من التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة، وأمره أظهر من أن يخفى .

والمهم فيما نحن بسبيله أن كلمة (فوهة) استعملت مجازاً مرسلأً، واستعارة باعتبارين مختلفين على حسب العلاقة المنظور إليها .

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣ /

(٢) لسان العرب ٣٤٩٤/٥ (فوه) .

(٣) ينظر بغية الإيضاح ١٣٥/٣ .

ومن هذه الكلمات أيضاً كلمة (خدمة) أى الخلخال ، فقد أشار إلى أنها استعملت مجازاً مرسلأ عن الساق من إطلاق الحال على المحل فى قوله (... وقد تسمى الساق خدمة حملاً على الخلخال؛ لكونها موضعه) ^(١) وقد سبق ذكره فى علاقة (الحالية) .

وذكر فى الموضع نفسه أن كلمة (الخدمة) تستعار لاجتماع القوم ، واتحادهم وقوة تماسكهم ، فقد قال : « ... وقد تسمى حلقة القوم خدمة، وفى حديث خالد بن الوليد إلى مرزبة فارس الحمد لله الذى فض خدمتكم قال - أى ابن سيده - فض الله خدمتهم أى فرق جماعتهم .. ف ضرب ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه ، وتفرقه، وشبه اجتماع أمر العجم، واتساقه بالحلقة المستديرة؛ فل هذا قال فض الله خدمتكم أى فرقها بعد اجتماعها....» ^(٢) .

فكلمة (خدمة) فى كلامه السالف الذكر مستعارة لاجتماع العجم، وترابطهم وإن لم تذكر فيه كلمة استعارة ، أو ما اشتق منها، لكنها معلومة من قوله (وشبه اجماع أمر العجم، واتساقه بالحلقة المستديرة) لأن الكلام ليس فيه تشبيه اصطلاحى ، وإنما فيه تشبيه قامت عليه الاستعارة .

وقد عد أبو هلال العسكري كلمة (خدمة) فى قول خالد بن الوليد - رضى الله عنه - استعارة ضمن استعارات كثيرة ذكرها عندما قال : «ومما فى كلام النبى - صلى الله عليه وسلم ،

(١) لسان العرب ١١١٥/٢ (خدم) .

(٢) لسان العرب ١١١٦/٢ (خدم) .

والصحابة - رضى الله عنهم - ونشر الأعراب، وفصول الكتاب من الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم (كلما سمع هبيعة طار إليها) ... وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازية فارس الحمد لله الذى فض خدمتكم وفرق كلمتكم...» (١)

ف نجد أن كلمة (خدمة) قد استعملت مجازاً مرسلأ، واستعارة باعتبارين مختلفين .

ومن الكلمات التى أُجرى فيها مجاز مرسل ، واستعارة أيضاً كلمة (القول) أو ما اشتق منها ، فقد ذكر صاحب لسان العرب أنها تكون مجازاً مرسلأ عن الاعتقادات والآراء ، فقال : «القول الكلام .. وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان ... فأما تجوزهم فى تسميتهم الاعتقادات ، والآراء قولأ، فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول، سميت قولأ، إذ كانت سببأ له، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشئ باسم غيره إذا كان ملابسأ له، وكان القول دليلاً عليه» (٢) .

فإطلاق القول على الاعتقادات ، والآراء مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، وقد سبق ذكر ذلك المجاز فى علاقة المسببية .

(١) الصناعتين / ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢) لسان العرب ٣٧٧٧/٥ (قول) .

وأشار في الموضع نفسه إلى أن القول يستعمل مجازاً في غير
نطق الإنسان حين قال : « وقد يستعمل القول في غير الإنسان قال
أبو النجم :

قالت له الطير تقدم راشدأ . . . إنك لا ترجع إلا حامداً
وقال آخر :

فقلت له العينان سمعاً وطاعة . . . وحدوثا كالدر لما يثقب
... وإذا جاز أن يسمى الرأي، والاعتقاد قولاً، وإن لم يكن
صوتاً، كان تسميتهم ما هو أصوات قولاً أجدر بالجواز . . . »^(١).

ومفهوم من كلامه الأنف الذكر أن القول حين يستعمل في غير
الإنسان يكون من قبيل الاستعارة؛ لأنه ينبئ عن المقصود بشواهد
الحال، وقرائن السياق كما يترجم الإنسان عن مراده بالكلمات الدالة.
والعبارات المنطوقة. فقول الطير، أو قول العينين ليس على سبيل
الحقيقة، مثل قول الإنسان، بل هو مستعار للدلالة الموحية المعبرة عن
المطلوب .

واستعارة القول لغير النطق باللسان مجاز مشهور عند
البيانين وأرباب الفصاحة والذلاقة حتى جعله بعضهم مستعاراً في
بعض أي الذكر الحكيم لدلالة الحال، وشهادة المقام، فقد ذكر الإمام
فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى
آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا
بلى شهدنا ... »^(٢) أن (قالوا ...) في بعض المواضع لا يراد به القول
باللسان فقال : « ... ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) الأعراف / ١٧٢ .

دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالأشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى . وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها قوله تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » (١).

ومنه قوله تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٢) . وقول العرب قال الجدار للوتد لم تشقني ؟ قال سل من يدقني ... فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ... » (٣) .

وبناء على ما سبق بيانه يظهر لنا بجلاء ووضوح أن ما ذكره صاحب لسان العرب من أن الكلمة الواحدة يمكن اعتبارها مجازاً مرسلًا، أو استعارة بحسب العلاقة الملحوظة فيهما جار على سنن البيانيين ، وسائر على نهجهم، وإن تساهل في بعض الأحيان فسائر بعض البيانيين في إطلاقهم مصطلح الاستعارة على ما هو من قبيل المجاز المرسل ، وقد تبدى ذلك في موافقته على جعل (الأملوج) مستعاراً لسمن بكاراة الإبل ، وقد ذكرت ذلك قريباً .

(١) فصلت / ١١ .

(٢) النحل / ٤٠ .

(٣) التفسير الكبير ١/٥٣ - ٥٤ .

وينظر تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار / ٣٧٠
والمباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الفصل الخامس

بين المجاز المرسل والكناية في لسان العرب

الفصل الخامس

بين المجاز المرسل والكناية في لسان العرب

يظهر من صنيع صاحب لسان العرب أنه يرى أن اللفظ الواحد يمكن أن يكون مجازاً مرسلأً وكناية باعتبارين .

وقد تبدت لي هذه الرؤية من خلال تناوله لبعض كلمات معينة، فقد أورد في بعض المواضع ما يفيد أن كلمة (السان) تطلق على الكلام واللغة، فنقل عن ابن سيده أن (السان صدق) في قوله تعالى «واجعل لي لسان صدق في الآخرين»^(١) معناه اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر^(٢) .

وفسر (السان قومه) في قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»^(٣) بلغة قومه^(٤) .

فليس المقصود من كلمة (السان) العضو المعروف، وإنما المقصود منه اللغة، أو الكلام، ومعلوم عند البلاغيين أن إطلاق اللسان على الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية، وهو أشهر مثال لتلك العلاقة يتردد ذكره في كتّاب البلاغة .

(١) الشعراء / ٨٤ .

(٢) لسان العرب ٤٠٣٠/٥ (لسن) .

(٣) إبراهيم / ٤ .

(٤) ينظر لسان العرب ٤٠٣٠/٥ (لسن) .

ولكنه ذكر في موضع آخر أن اللسان كناية عن الكلام فقال :
« وقطع لسانه أسكته بإحسانه إليه ، وانقطع لسانه ذهبت سلاطته ،
وامرأة قطيع اللسان إذا لم تكن سليطة ، وفي الحديث أنه قال لما
أنشده العباسي ابن مرداس أبياته العينية اقطعوا عني لسانه أي
أعطوه وأرضوه حتى يسكت (١) فكنى باللسان عن الكلام ، ومنه
الحديث أتاه رجل فقال إني شاعر فقال يا بلال اقطع لسانه فأعطاه
أربعين درهماً (٢) . فقوله (فكنى باللسان عن الكلام) صريح في
أنه جعل (اللسان) كناية عن الكلام ، وقد رأينا أنه جعله في الموضع
الذي سلف ذكره مجازاً مرسلأ .

وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على أن اللفظ الواحد عنده يمكن أن
يكون مجازاً مرسلأ ويمكن أن يكون كناية .

ومما هو بسبب من حديث قطع لسان هذا الشاعر ، وإعطائه
ما يرضيه ، واستلال سخيمة قلبه أتني وجدت في بعض المراجع أن
الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع لسان العباس على بن
أبي طالب ، وليس بلالا كما جاء في الحديث الذي أخذه صاحب لسان
العرب عن ابن الأثير ، وقد سبق ذكره آنفاً ، فقد رووا أن العباس بن
مرداس أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أجعل نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقصر
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في مجمع
وما أنا دون امرئ منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٤ /

(٢) لسان العرب ٥ / ٣٦٧٦ (قطع) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اقطع لسانه عنى،
فقبض على عليه السلام على يده، وخرج به فقال أقطع أنت لسانى
يا أبا الحسن؟ فقال إنى لمض فيك ما أمر ... ثم مضى به إلى إبل
الصدقة فقال خذ ما أحببت ، أو كما قال (١) .

وسواء كان المأمور هو علياً، أو بلالاً - رضى الله عنهما - فإن
الذى تتوخاه هذه السطور ، وتتحرراه هو جعل صاحب لسان العرب
(لسانه) فى قوله صلى الله عليه وسلم (اقطعوا عنى لسانه) كناية
عن الكلام بعد أن اعتبره فى موضع آخر مجازاً مرسلأ عن الكلام .

ومن هذه الكلمات التى ألمع إلى أنها مجاز مرسل، وصرح
بأنها كناية كلمة (الرقبة) فقد ذكر فى بعض المواضع أنها تطلق على
ذات الإنسان كلها تسمية للشئ باسم جزئه فقال : « ... والرقبة
العنق، وقيل أعلاها .. والرقبة المملوك وأعتق رقبة أى نسمة ، وفك
رقبة أطلق أسيراً سميت الجملة باسم العضو لشرفها . التهذيب وقوله
تعالى فى آية الصدقات (والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب) (٢) قال أهل
التفسير فى الرقاب إنهم المكاتبون ولا يبتدأ منه مملوك فيعتق، وفى
حديث قسم الصدقات (وفى الرقاب) يريد المكاتبين من العبيد يعطون
نصيباً من الزكاة يفكون بها رقابهم ، ويدفعونه إلى مواليتهم» (٣).

(١) ينظر تحرير التعبير ، لابن أبى الإصبع / ٢٥١ .

تحقيق الدكتور حفى محمد شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(٢) التوبة / ٦٠ .

(٣) لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

فقله بعد أن ذكر أن الرقبة أطلقت على النسمة، وعلى الأسير (سميت الجملة - أي جملة الإنسان - باسم العضو لشرفها) أي لشرف الرقبة على سائر أجزاء الجسم، يومئ إلى أن إطلاق الرقبة على ذات الإنسان مجاز مرسل علاقته الجزئية .

ولكنه أورد في الموضع نفسه عن ابن الأثير أن إطلاق العنق على ذات الإنسان كناية، ومعلوم أن الرقبة والعنق شيء واحد^(١) يقول في ذلك : «... وفي الحديث كأنما أعتق رقبة قال ابن الأثير وقد تكررت الأحاديث في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها، وهي في الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه، فإذا قال أعتق رقبة فكأنه قال أعتق عبداً أو أمة، ومنه قولهم دينه في رقبته... وفي حديث بلال والركائب المناخة لك رقابهن وما عليهن أي ذواتهن وأعمالهن...»^(٢) .

فنجده قد ارتضى قول ابن الأثير ، واحتذى حذوه في جعل الرقبة أو العنق كناية عن جميع ذات الإنسان ، أو ذات الحيوان كما في جعل رقاب الركائب كناية عن ذواتهن، وإن كان من الملحوظ أن ثمة تداخلاً فيما قاله بين الكناية والمجاز المرسل في قوله (... وهي في الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه) .

(١) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

(٢) المصدر نفسه والموضع .

فصدر العبارة ناطق بأن العنق كناية عن ذات الإنسان،
وعجزها ناطق بأنها مجاز مرسل عن الإنسان ، وهذا يعتبر دعماً
ومساندة لكونه يجعل اللفظ الواحد مجازاً مرسلأً، وكناية .

ومن الكلمات التي بدا أن في تناوله لها تداخلاً بين المجاز
المرسل، والكناية أيضاً كلمة (قحف) فقد جعلها كناية عن الرأس
كله، أو مجازاً مرسلأً عنه .. عندما قال : « القحف العظم الذي فوق
الدماغ من الجمجمة، والجمجمة التي فيها الدماغ، ومنه حديث^(١)
أبي هريرة في يوم اليرموك فما رثى موطن أكثر قحفاً ساقطاً أى رأساً
فكنى عنه ببعضه أو أراد القحف نفسه....»^(٢) .

فنرى في قوله (فكنى عنه ببعضه) تداخلاً، أو إن شئنا الدقة
دمجاً بين الكناية والمجاز المرسل ، فإن قوله فكنى عنه) صريح في أن
لفظ (قحف) كناية عن الرأس، وقوله (ببعضه) يشير إلى أنه مجاز
مرسل علاقته الجزئية عن الرأس نفسه .

ومن الكلمات التي أشار صاحب اللسان إلى أنها يمكن أن
تكون مجازاً مرسلأً وكناية أيضاً كلمة) (عذرة)^(٣) وهى سلع
الإنسان وغائطه ، فقد قال في أحد المواضع : «والعاذر والعذرة
الفائض الذي هو السلح ، وفي حديث ابن عمر أنه كره السلح الذي
يزرع بالعذرة^(٤) يريد الغائط الذي يلقيه الإنسان ، والعذرة فناء

(١) يبدو أن الحديث هنا بمعناه اللغوي .

(٢) لسان العرب ٣٥٣٧/٥ (قحف) .

(٣) أعتذر عن ذكر مثل هذه الألفاظ ، ولعله يشفع لى أن هذه لغة
العرب التي وسعت حياتهم، وعبرت عن حاجاتهم .

(٤) ينظر كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٩٩/٣ .

الدار، وفي حديث على أنه عاتب قوماً فقال ما لكم لا تنظفون
عذراتكم^(١) أي أفئيتكم .. قال أبو عبيد وإنما سميت عذرات الناس
بهذا، لأنها كانت تلقى بالأفنية، فكنى عنها باسم الفناء، كما كنى
بالغائط وهي الأرض المطمئنة عنها....^(٢) واضح من هذا الكلام
الذي ذكره أن العذرة في الأصل فناء الدار، وسميت عذرات الناس
بهذا الاسم؛ لأنها كانت تلقى بالأفنية، وغنى عن البيان أن دور
العرب، وأفئيتهم كانت رحبة واسعة لاتضيق بحاجاتهم، وضروريات
حياتهم .

وبناء على ذلك تكون كلمة (عذرة) أو (عذرات) مجازاً مرسلأ
علاقته المحلية أطلق فيه المحل على الحال فيه .

وفي الوقت نفسه نجد أن عبارة أبي عبيد التي أوردها صاحب
اللسان في عجز كلامه الذي سبق ذكره تتضمن أن العذرة أي فناء
الدار كناية عن غائط الإنسان الذي يلقيه في هذا المكان، ويتجلى
ذلك في قوله (.... فكنى عنها باسم الفناء كما كنى بالغائط وهي
الأرض المطمئنة عنها) أي العذرة .

وفي علاقة المحلية كذلك أورد صاحب لسان العرب عدة أقوال
في معنى الشيباب من قوله تعالى (وئيباك فظهر)^(٣) منها أنها
النفس فقال : «... والعرب تكنى بالشيباب عن النفس وقال :

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٨٦٠ (عذر) .

(٣) المدثر / ٤ .

فسلى ثيابي عن ثيابك تنسل (١)
وفلان دنس الثياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب ، خبيث
العرض قال امرؤ القيس :
ثيابي بنى عوف طهاري نقيّة وأوجههم بيض المسافر غران (٢) .
وقال (الشمّاخ) (٣) .
رموها بأثواب خفاف ولا ترى لها شبيهاً إلا النعام المنفرا
رموها يعنى الركاب بأبدانهم، ومثله قول الراعى :
فقام إليها حبتر بسلاحه ولله ثوباً حبتر أيما فتى
يريد ما اشتمل عليه ثوب حبتر من بدنه (٤) .

-
- (١) هذا عجز بيت لامرئ القيس وصدرة : وإن تك قد ساءتك منى خليفة..
ورواية المعلقات التى شرحها الزوزنى (ثيابي من ثيابك) باستبدال
الحرف (من) بالحرف (عن) ينظر المعلقات السبع شرح الزوزنى / ١٤ .
(٢) فى هامش لسان العرب ذكر أحد محققيه أن البيت فى ديوانه :
وأوجههم عند المشاهد غران ٥١٩/١ (ثوب) .
وذكر صاحب اللسان نفسه فى موضع آخر عن ابن برى أن المشهور
فى بيت امرئ القيس .. وأوجههم عند المشاهد غران .
أى إذا اجتمعوا لغريم حمالة أو لإدارة حرب وجدت وجوههم مستبشرة
غير منكرة... ٣٢٣٤/٥ (غرر) .
(٣) نسب محققو لسان العرب هذا البيت إلى الشمّاخ ، وذكر ابن قتيبة
أن البيت لليلى الأخيلية / ١٤٢ تأويل مشكل القرآن .
وأيد محقق كتاب ابن قتيبة أن البيت لها .
ينظر هامش تأويل مشكل القرآن / ١٤٢ تحقيق السيد أحمد صقر .
(٤) لسان العرب ٥١٩/١ (ثوب) .

فقد صرح فى حديثه المتقدم بأن الثياب كناية عن النفس، ويلوح شرحه لكلمة الثياب أو نحوها فى بعض الشواهد التى ساقها إلى أن الثياب مجاز مرسل عن ذات الإنسان وبدنه، فقد فسر قول ليلى الأخيلية (رموها بأثواب) بأنهم رموها بأبدانهم، وغير خاف أن الأثواب محل لهذه الأبدان، وكذلك فسر قول الراعى (ولله ثوبا حبترا) بما اشتمل عليه هذان الثوبان من بدنه، فهما محل لذلك البدن، وبدنه حال فيها وهذا ظاهر فى علاقة المحلية .

وهكذا نجد أن المجاز المرسل والكناية يمكن أن يتواءم على لفظ واحد، وإن كان ذلك يبدو فى بادئ النظر تناقضاً ظاهراً، لأن المجاز قرينته مألوفة من إرادة المعنى الحقيقى، والكناية قرينتها مجوزة لإرادة ذلك المعنى (١) .

وقبل أن أعرض لإزالة هذا التناقض الظاهر عن هذا الاستعمال أشير إلى أن إطلاق مصطلح الكناية، والمجاز المرسل على اللفظ الواحد أمر لم ينفرد به اللغويون الذين سطر كلامهم صاحب لسان العرب، وذكرت طرفاً منه آنفاً، بل شاركهم فى هذا الإطلاق أرباب البيان، وجهابذة البلاغة - فمثلاً - صاحب الكشاف وهو علم من أعلامهم يشار إليه بالبتان يذكر صوراً من المجاز المرسل، ويسميتها كناية، فقد قال فى قوله تعالى «وثيابك فطهر» (٢) .

(١) بلظر - مثلاً - بغية الإيضاح ١٧٢/٣ .

(٢) المدثر / ٤ .

«وقبيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ،
ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب ، وطاهر الجيب
والذليل والأردان ، إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب، ومدانس الأخلاق ،
وفلان دنس الثياب للفادر ، وذلك لأن الشوب يلبس الإنسان،
ويشتمل عليه فكنى به عنه» (١) . وقد عقب الدكتور محمد أبو
موسى على ذلك بقوله :

«فالتعبير عن الإنسان بشوبه من المجاز المرسل الذى علاقته
المجاورة، أو اللفظية، ولكن الزمخشري يجعله من الكناية .. ويمكن أن
يكون المشال الواحد كناية لغوية باعتبار، ومجازاً مرسلأ باعتبار
آخر...» (٢) .

والكناية اللغوية هى المفردة التى يعبر فيها عن المكنى عنه
بلفظ واحد مثل كلمة (نعجة) فى قوله تعالى «إن هذا أخى له تسع
وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة» (٣) فإن هذه الكلمة فى الموضعين
كناية عن المرأة (٤) .

وقد رأينا فيما تقدم ذكره أن جميع الكنايات التى أشار
صاحب لسان العرب إلى أنها تكون مجازاً مرسلأ أيضاً هى كنايات
لغوية مفردة .

(١) الكشاف ١٥٦/٤ .

(٢) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري / ٤٦٧ .

(٣) ص / ٢٣ .

(٤) الطراز للعلوى ٤٢٧/١ .

وقد وجدت الإمام فخر الدين الرازى ، وهو من البيانين الذين لهم جهد يذكر فى البيان العربى يذكر فى تفسيره الكبير كثيراً من هذه الكنايات المفردة، ثم يذكر فى مواطن أخرى من ذلك التفسير ما يفيد أنها مجاز مرسل^(١) .

ولابأس أن أورد نموذجاً واحداً دليلاً على ذلك، فقد ذكر فى قوله تعالى «... قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»^(٢) .

ان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل ، ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء ، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشئ الذى نسبه ولكنه استعاذ من السبب الموجب له كما قد يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل، وغلبة الهوى والحاصل أنه أطلق اسم السبب على المسبب مجازاً^(٣) .

فجعل إطلاق الجهل على الاستهزاء مجازاً مرسلأً، لكنه عند تفسير قوله تعالى مخاطباً نبيه نوحاً عليه السلام «إنى أعظك أن تكون من الجاهلين»^(٤) جعل الجهل كناية عن الذنب فقال : «جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور فى القرآن قال تعالى (يعملون السوء بجهالة)^(٥) وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)^(٦) .

(١) بنظر المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة / ٣٢٣ - ٣٢٦ .

(٢) البقرة / ٦٧ .

(٣) التفسير الكبير ٢ / ١٢٦ .

(٤) هود / ٤٦ .

(٥) النساء / ١٧ .

(٦) التفسير الكبير ٩ / ٢ - ٤ - ٥ .

وهنا نأتى إلى إزالة ما يبدو من تناقض ظاهر يتمثل فى إطلاق مصطلح المجاز المرسل والكناية على لفظ واحد ، مع أن قرينة المجاز مانعة، وقرينة الكناية غير مانعة، وقد تصدى لهذه المهمة بجدارة واقتدار ابن يعقوب المغربى - رحمه الله - فبين أن اللفظ الواحد لا يكون مجازاً مرسلأ ، وكناية فى آن واحد ، ونظرة متساوقة ، وإنما يتأتى ذلك إذا تباينت النظرة إليهما ، وانفكت جهة الإطلاقة عليهما ، واختلفت الحيشية المعتبرة فيهما ، فكلمة النبات - - مثلاً - تكون مجازاً مرسلأ عن الغيث من حيث التلازم بينهما ، وتكون كناية عنه من حيث كون النبات رديفاً للغيث ، وتابعاً له فى الوجود (١) .

وبناء على تلك النظرة ينقشع عن هذا الاستعمال ما يبدو من تعارض فى بادئ الرأى ، ويمكننا أن نقول - مثلاً - إن لفظ (اللسان) يكون مجازاً مرسلأ عن الكلام لما بينهما من تلازم الآلية ، وما يصدر عنها ، ويكون كناية عن الكلام ؛ لأنه تابع له ، وأثر من آثاره .

(١) ينظر مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ٢٤٦/٤ - ٢٤٧ شرح التلخيص .

خاتمة

(وبعد) فقد تتبع هذا العمل بعون الله تعالى = تطور حقيقة المجاز المرسل، وكنهيه عند كوكبة من جلة البيانين، وقد تبين أن حقيقته ظلت غائبة، مختلطة بالاستعارة حتى فيصّل الشيخ عبد القاهر الجرجاني بينهما، فجعله مقصوراً على ما كان النقل فيه مبنياً على أساس الملاسة، والتعلق بين المنقول عنه، والمنقول إليه، وجعل الاستعارة مقصورة على ما نقله من أجل التشبيه للمبالغة .

وقد بدا أن (أها يعقوب السكاكي) هو الذي أطلق عليه مصطلح (المجاز المرسل) ولعله قد استلهم كلمة (مرسل) من بيان الشيخ عبد القاهر، فقد ترددت خلال كلامه بمعنى عدم التقييد ، أو الخلو من دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة .

وقد أضاف هذا العمل - بفضل الله - من خلال ما ذكره (لسان العرب) كثيراً من الشواهد الجديدة المتنوعة التي لم تعهدها كتب البلاغة المشتهرة .

ولم يكن همه، ووكده رصد هذه الشواهد، وسردها فحسب، بل غنى كثيراً بالوقوف عندها ، والموازنة بين كلام اللغويين، والبيانين، واختيار ما يتسق مع الشواهد البيانية، وقد وصل الأمر - أحياناً - إلى مناقشة صاحب (لسان العرب) في بعض تعبيرات بلاغية غير سديدة مثل قوله وهو بصدد الحديث عن إطلاق لفظ الصلاة على سورة الفاتحة (أراد بالصلاة هنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) .

ولأزعم أن هذا العمل قد بلغ حد الكمال، أو برئ من العيب ،
وخلا من الهنات .. ويكفى أنتى بذلت فيه قصارى الجهد، وتوخيت
الصواب، والسداد «رنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا رنا ولاتحمل
علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا رنا ولاتحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين» .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصادر البحث ومراجعته

- ١- أساس البلاغة - الزمخشري .
- ٢- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني تعليق الشيخ محمد رشيد رضا - مكتبة القاهرة - الطبعة السادسة ١٣٧٩هـ .
- ٣- الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز - العزبن عبد السلام المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- ٤- الأطول - للعصام - طبعة الآستانة ١٢٨٤هـ .
- ٥- الأعلام - خير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٧٩م .
- ٦- بغية الإيضاح - الشيخ عبد المتعال الصعيدى الجزء الثالث المطبعة النموذجية ١٩٧٣م .
- ٧- البلاغة تطور وتاريخ - دكتور شوقى ضيف - دار المعارف ١٩٦٥م .
- ٨- بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار دكتور عبد الفتاح لاشين - دار الفكر العربى .
- ٩- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري دكتور محمد أبو موسى دار الفكر العربى .
- ١٠- البرهان فى علوم القرآن - الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث - القاهرة .

- ١١- بغية الوعاة - السيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل - بيروت - لبنان.
- ١٢- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ١٣- تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل مكتبة الجمهورية العربية الصنادقية بالأزهر.
- ١٤- تحرير التحبير - ابن أبي الإصبع - تحقيق الدكتور حنفى محمد شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٣ هـ .
- ١٥- تفسير القرطبى ط الشعب - القاهرة.
- ١٦- تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضى عبد الجبار - دار النهضة الحديثة- بيروت - لبنان.
- ١٧- تفسير الكشاف - الزمخشري - دار المعرفة - بيروت .
- ١٨- التفسير الكبير - فخر الدين الرازى - دار الفكر - بيروت ط الثالثة ١٤٠٥ هـ.
- ١٩- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - نشره وشرحه السيد أحمد صقر- ط ثانية ١٩٧٣ م - دار التراث القاهرة.
- ٢٠- تلخيص المفتاح - الخطيب القزوينى - مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البنايى الحلبى.
- ٢١- حاشية الإنبايى على الرسالة البيانية للصبان - المطبعة الأميرية ط أولى ١٣١٥ هـ.

- ٢٢- حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية- المطبعة
الأزهرية - ط أولى ١٣٢٨هـ.
- ٢٣- حاشية الدسوقى على مختصر السعد-ضمن شروح التلخيص.
- ٢٤- حاشية السيد الشريف على المطول- على هامش المطول -
مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
- ٢٥- الحقيقة والمجاز فى القرآن الكريم- دكتور على محمد حسن ط
أولى ١٩٧٤ مطبعة السعادة.
- ٢٦- الخصائص- ابن جنى - تحقيق محمد على النجار- دار الهدى
للطباعة والنشر - ط ثانية- بيروت - لبنان.
- ٢٧- ديوان الراعى النميرى - تحقيق راينهرت - فايبرت - بيروت
١٤٠١هـ ، دار النشر - فرانكس.
- ٢٨- ديوان الفرزدق - دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ .
- ٢٩- الرسالة البيانية للصبان-المطبعة الأميرية- ط أولى ١٣١٥هـ.
- ٣٠- سنن أبى داود - دار إحياء السنة النبوية - مراجعة الشيخ
محمد محيى الدين عبد الحميد .
- ٣١- شعر النابغة الجعدى - منشورات المكتب الإسلامى بدمشق -
ط أولى ١٩٦٤م.
- ٣٢- شرح المعلقات السبع - الزوزنى - المطبعة التجارية الكبرى -
القاهرة ١٣٨٠هـ.
- ٣٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلى -
دار إحياء التراث - بيروت.
- ٣٤- صحيح مسلم - شرح النووى ط الشعب.

- ٣٥- صور من تطور البيان العربي دكتور كامل الخولى ط أولى
١٩٦٢م دار الأنوار للطباعة والنشر .
- ٣٦- الصناعتين - أبو هلال العسكري - دار الكتب العلمية
بيروت ط أولى ١٩٨١م.
- ٣٧- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكي
- شروح التلخيص.
- ٣٨- غريب الحديث - ابن الجوزى - تعليق الدكتور عبد المعطى
أمين القلعجى - دار الكتب العلمية - ط أولى -
بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.
- ٣٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - لابن حجر العسقلانى
دار الريان للتراث ط أولى ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- الفائق فى غريب الحديث - الزمخشري - تحقيق على محمد
البيجاوى وآخر- مطبعة عيسى البابى الحلبي ط
ثانية.
- ٤١- الفروق فى اللغة- أبو هلال العسكري - منشورات دار الآفاق
الجديدة - بيروت ط خامسة ١٩٨١م.
- ٤٢- لسان العرب - ابن منظور ط دار المعارف .
- ٤٣- المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى - رسالة دكتوراه
مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة- إعداد
أحمد هنداوى هلال.
- ٤٤- المثل السائر - ابن الأثير- تحقيق دكتور أحمد الحوفى وآخر-
دار نهضة مصر - ط ثانية.

- ٤٥- المختصر - سعد الدين التفتازانى - شروح التلخيص .
- ٤٦- مسند الإمام أحمد - مكتبة التراث الإسلامى - شرح أحمد محمد شاكر.
- ٤٧- مجمع الأمثال - الميدانى - تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥م.
- ٤٨- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف - الشيخ محمد عليان المرزوقى مع الكشاف الجزء الرابع - دار المعرفة - بيروت.
- ٤٩- مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح- ابن يعقوب المغربى- ضمن شروح التلخيص .
- ٥٠- مجاز القرآن - أبو عبيدة - تعليق دكتور محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجى - القاهرة.
- ٥١- معانى القرآن- الفراء - عالم الكتب - بيروت ط ثانية ١٩٨٠م.
- ٥٢- المعجم الوجيز - إصدار مجمع اللغة العربية- القاهرة .
- ٥٣- معجم المؤلفين - تأليف عمر كحالة - مكتبة المثنى - لبنان.
- ٥٤- المنهاج الواضح فى البلاغة - الأستاذ حامد عونى - دار الكتاب العربى - ط أولى ١٣٧٧هـ.
- ٥٥- الموازنة - الآمدى- تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف ط رابعة.
- ٥٦- المطول - سعد الدين التفتازانى - مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

- ٥٧- المفتاح - السكاكى - مطبعة مصطفى البابى الحلبي - ط
أولى ١٩٣٧م.
- ٥٨- ابن منظور وأثره فى الدراسات اللغوية- دكتور محمد متولى
منصور - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة
العربية - بالقاهرة.
- ٥٩- النهاية فى غريب الحديث والأثر - ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد
الزاوى وآخر- المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٥	زهد
٤٠-٩	(الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل)
١١	المجاز المرسل عند أبي عبدة
١٤	المجاز المرسل عند ابن قتيبة
١٧	المجاز المرسل عند أبي هلال العسكري
١٩	المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار
٢٣	المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني
٢٨	المجاز المرسل عند الزمخشري
٣١	المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازي
٣٢	المجاز المرسل عند السكاكي
٣٨	المجاز المرسل عند الخطيب القزويني
١٣١-٤١	(الفصل الثاني علاقات المجاز المرسل في لسان العرب)
٤٢	السببية
٦٦	المسببية
٧٤	الآلية

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧٨	المجاورة
٩٢	اعتبار ماكان
٩٧	اعتبار مايتول إليه
١٠٦	الكلية
١٠٩	الجزئية
١٢٤	المحلية
١٢٧	الحالية
١٣٣-١٣٩	(الفصل الثالث المجاز عن المجاز)
	(الفصل الرابع بين المجاز المرسل والاستعارة
١٤١-١٥٤	فص لسان العرب)
	(الفصل الخامس بين المجاز المرسل والكنائية
١٥٥-١٦٧	فص لسان العرب)
١٦٩-١٧٠	خاتمة
١٧١-١٧٦	مصادر البحث و مراجعة

رقم الايداع ٩٤/١٠٢٥٩
I.S.B.N الترقيم الدولي
977-00-7916-2

التركي

للكمبيوتر وطباعة الأرفست - طنطا